الأغاني والأناشيد

أثبتنا في أول الكتاب عند حديثنا عن المغنين والقصصيين أن الغناء كان في مصر من قديم الزمان، وأنه كان معينَ الفلاح على عمله الشاق، ومنشِّط الصانع فيما يعالجه من صناعة، وسمير المترفين من السادة والشرفاء؛ فالأدب المصري — كغيره من الآداب — له أغانيه التي تتفق وطبيعة تربته وعوائد قومه، وقد سارت الأغاني المصرية القديمة في مجريَيْن متباعدين: أولهما الأغاني الدينية، وترتبط بالدين ومجالسه ومشاهده، وثانيهما الأغاني الدنيوية وتتصل بعرض الدنيا ومفاتنها، وللأولى قداستها؛ لأنها تشيد بالدين وترفعه في نظر القوم، ولذلك وعتها صدور الحفاظ، وسجلتها على جدرانها المعابد، وسطرتها على صفحاتها مكتباتها، واحتوتها صحائف القبور؛ ولذلك وصل إلينا من الأناشيد قدر عظيم بفضل «متون الأهرام وكتاب الموتى خاصة».

وكان هذا النوع من الأغاني والأناشيد يرتَّل في محافل الآلهة ومجالس الدين والوعظ، وعند تقديم القرابين أو في المشاهد الدينية العظيمة؛ فيضفي على هذه المجتمعات سحرًا روحانيًّا يسمو بالنفس إلى أنبل الغايات؛ أما الثانية فيترنم بها ذووها عند النصر المبين على الفَجَرة من أعداء الملوك، أو في محافل الأمراء والأشراف لمناسبات دنيوية سارة، ويتصل بهذا النوع الأغاني التي يهزج بها القوم في الأفراح، أو يرفعون بها عقائرهم عند العمل الشاق؛ تسريةً عن أنفسهم وتخفيفًا لمشاقِّ العمل وفداحته.

وسنورد هنا نماذج من كل نوع، ونسبق كلًّا بمختصر وجيز عن تاريخه وبعض أهدافه مبتدئين بالشعر الديني أو الأغاني الدينية …

الشعر الديني

متون الأهرام

تكلمنا في الفصل السابق للأغاني والأناشيد عن الشعر الدراماتيكي والدراما، وقلنا: إن أقدم وثيقة وصلت إلينا عن التفكير الإنساني هي الدراما المنفية؛ إذ يرجع عهدها إلى (سنة ٣٤٠٠ق.م)؛ أي في باكورة الاتحاد الثاني الذي شاهدته البلاد؛ والوثيقة الثانية التي تتلو هذه الدراما في القدم هي «متون الأهرام»، التي تعدُّ بحق أهم مصدر يضع أمامنا صورة عن الحالة الدينية والعقلية والاجتماعية في تلك الأزمان السحيقة. وسنضع هنا أمام القارئ لمحة عن تاريخ كشف هذه النقوش، ومحتوياتها، والغرض الذي من أجله نُقشت، ومقدار أهميتها في الأدب الديني المصري والحياة المصرية، ثم نورد بعض أمثلة منها بوصفها أقدم نوع من الشعر الديني:

إن أول ما عُرف من الأهرام — بلا شك — هي الأهرام الثلاثة: «خوفو» و«خفرع» و«منكاورع». وقد اقتحمها الباحثون عن الكنوز والعلماء، ولم يجدوا فيها ما يَشفي الغلة، وكان الظن السائد أن كل الأهرام كانت عارية عن النقوش إلى أن اقتحم العمال المصريون الذين كانوا يعملون في الحفائر تحت إشراف «مريت» في سنة ١٨٨٠ ميلادية هرم «بيبي الأول»، ثم دخلوا هرم الملك «مرنرع»، وقد وجدوا جدران أروقة هذين الهرمين وممراتهما وحجراتهما مغطَّاةً بآلاف الأسطر من النقوش الهيروغليفية، وهذه النقوش هي التي يطلق عليها الآن اسم «متون الأهرام».

وتوجد هذه المتون منقوشة في ثمانية من أهرام سقارة التي كانت تعدُّ جبانة «منف» القديمة،[1] وقد قام بتدوين هذه النقوش طائفة من الفراعنة، وهم الملك الأخير في الأسرة الخامسة، ثم الملوك الأربعة الأُوَل الذين خلفوه في الأسرة السادسة، ثم زوجات بيبي الثاني، وقد حكموا حسب ترتيبهم المذكور مدة قريبة من قرن ونصف قرن تبتدئ من حوالي سنة ٢٦٢٥، وتنتهي سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد؛ أي حكموا كل القرن السادس والعشرين، ومن المحتمل أنهم حكموا ربع قرن قبل هذا التاريخ وربع قرن بعده أيضًا.

ويظهر لنا على أية حال أن محتويات هذه المتون تشتمل على مادة أقدم من مادة عصور النسخ التي وصلت إلينا، وتشير ثماني النسخ التي بأيدينا إلى مادة كانت موجودة فيما مضى، ولكنها لم تكن مستمرة الاستعمال بعد؛ فإنك تقرأ فيها عن «فصل أولئك الذين يصعدون» و«الفصل الخاص بأولئك الذين يرفعون أنفسهم»، وذلك يدل على أن هذين الفصلين كانا مستعملين قديمًا في مناسبات لحوادث مختلفة في أساطير ذلك العهد القومية، وبذلك يعتبر هذان الفصلان أقدم عهدًا من متون الأهرام التي بأيدينا.

وكذلك توجد في هذه المتون إشارات إلى الخصومات التي كانت قائمة بين ملوك الشمال (الوجه البحري) وبين ملوك الجنوب (الوجه القبلي)؛ مما يدل على أنها كتبت قبل عهد الاتحاد الثاني؛ أي قبل القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد، هذا إلى أنه توجد فقرات غير هذه الإشارات يرجع تاريخها إلى باكورة عهد الاتحاد الثاني؛ أي في الوقت الذي كانت فيه تلك الخصومات مستمرة، وكان فيه ملوك الجنوب بالرغم من تلك الخصومات لا يزالون قابضين على زمام الحكم في الشمال ومحافظين على وحدة الدولة؛ وقد كتبت كل هذه الفقرات بوجهة نظر صعيدية.

على أننا نرى من ناحية أخرى أن بعض متون الأهرام قد ألفت في زمان متأخر معاصر لنفس الدولة القديمة؛ وذلك لأن الصيغ التي وضعت لحماية الهرم لم تكن بطبيعة الحال أقدم من الاهتداء إلى الشكل الهرمي الذي بدأ في القرن الثلاثين قبل الميلاد، ويوجد كذلك في خلال مدة القرن ونصف القرن المذكور التي كتبت في أزمنتها متون الأهرام الثمانية اختلاف جدير بالاعتبار. فإن لدينا حججًا قاطعة تدل على إدخال تنقيح ظاهر على النسخ المتأخرة العهد منها ليس لها نظير في النسخ القديمة، وبخاصة

[1] عُثِرَ حديثًا على متون في أهرام أخرى بسقارة مثل هرم الملكة «نيت» انظر: Jequier "Les Pyramides des Reines Neit et Apouit".

نقوش «بيبي الثاني وزوجه نيت»، وذلك يدل أيضًا على أن مراحل التفكير ونمو العادة والاعتقادات التي أخرجت هذه المتون إلى حيِّز الوجود، كانت لا تزال مستمرة في سيرها حتى ظهرت النسخة الأخيرة منها في باكورة القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد.

لذلك تمثل لنا هذه المتون حال عصر لا يقل عن ألف سنة. ولا يغرب عن الذهن أن ألف السنة هذه قد انتهت بالنسبة إلينا من نحو أربعة آلاف وخمسمائة سنة. والواقع أن مثل هذا القدر العظيم من الوثائق الباقية لنا عن العالم القديم ليس له مثيل في أي مكان آخر في العالم، وهذه المتون تؤلف خزانة من التجارب التي كانت تدور في حياة الإنسان القديم، ومعظمها مما لا يزال ينتظر دوره تحت محك البحث والدرس.

ولقد كانت الغاية المطلوبة من وضع متون الأهرام على وجه عام هي ضمان السعادة في الحياة الأخروية، ولكنها مع ذلك تصور لنا دائمًا جزر الحياة المحيطة بها ومدها، وشأنها في ذلك شأن كل أدب قومي؛ فإنها تنطق بعبارات تدل على سعة علم القوم الذين أخرجوها، وهذه العبارات متداولة في الحياة القومية التي نجدها في القصور والطرق والأسواق، أو هي عبارات أنشأتها العزلة والعكوف في المعابد المقدسة، وإن صاحب الخيال السريع يجد في هذه العبارات صورًا كثيرةً عن ذلك العالم الذي تقادمت عليه الدهور؛ فهي لذلك مرآته.

ومع أن هذه الصور تهتم بوجه خاص بذكر أحوال «الملك»؛ فإنها لم تُوصِدْ في وجوهنا باب العالم الذي كان حولها؛ فمثلًا عندما يعبر عن سعادة الملك في الحياة الأخروية، يقول: إن هذا الذي سمعته في البيوت وتعلمته في الطرقات في هذا اليوم حينما طُلب الملك بيبي للحياة (أي الموت).

ونلتقط لمحات عاجلة عن تلك الحياة في البيوت وفي الطرقات التي مضى عليها خمسة آلاف سنة: فالعصافير تشقشق على الجدران، والراعي يعبر الترعة خائضًا في الماء حتى الحزام حاملًا عبر الماء رضيع قطيعه الضعيف، والأم تدلل رضيعها عند الغسق، ويشاهد الصقر عند الغروب مخترقًا السماء، وتشاهد البطة البرية مخلصة قدميها فارَّة من يد الصياد الذي فشل في اقتناصها في المستنقع، وعابر النهر واقفًا عند زورق العبور ولا مال معه يقدمه للنوتي مقابل مقعد في الزورق المزدحم بالمسافرين، ولكن سمح له أخيرًا بالنزول إلى الزورق على أن يعمل مقابل نقله في نزح الماء من الزورق المثقوب؛ ويشاهد الشريف جالسًا عند حافة بركته في حديقته تحت ظلال نزله المصنوع من سيقان الغاب، وهذه الصور وكثير غيرها هي مما تزخر به الحياة الدنيوية عند سكان وادي النيل.

أما الحياة في القصور فقد انعكست صورتها في تلك المتون بشكل أتمَّ وأبهجَ من حياة العالم البعيد عنها وعما يحيط بها؛ فإن الملك يشاهَد في بعض الأوقات مثقلًا بأعباء مهام الدولة، وبجانبه أمين سره يحمل محبرة وقلمين؛ أحدهما للمداد الأسود والآخر للمداد الأحمر؛ لكتابة العناوين، وكذلك نراه في أوقات فراغه متكئًا بدون كُلفة على صديقه الحميم أو مستشاره، أو يشاهَدان يستحمَّان معًا في بركة قصره، والحاجب الملكي يقترب حتى يجفف جسميهما. وكثيرًا ما يشاهَد سائرًا على رأس موكب باهر مارًّا بطرقات مدينته يتقدمه السُّعاة مفسحين أمامه الطريق، وعندما يعبر إلى الشاطئ الثاني وينزل من الزورق الملكي الوهَّاج يشاهد عامة الشعب ملقين أحذيتهم وملابسهم راقصين أمامه رافعين أصواتهم بتهليلات الفرح عند رؤيتهم طلعته. أو يرى عند باب قصره وقد أحاطت به فخامة البلاط وبهاؤه، أو يشاهَد مرتقيًا عرشه العظيم المزين برءوس الأسود وحوافر الثيران، ويشاهَد كذلك في قاعة قصره وهو يجلس على عرشه العجيب وصولجانه المدهش في قبضته، ثم يرفع يده نحو أولاده؛ فيقومون أمام هذا الملك، ثم يُنزل يده مشيرًا نحوهم فيقعدون ثانية.

والحقيقة أن هذه المشاهد قد صورت على أنها حوادث حدثت في الحياة الأخروية. غير أن الحوادث والألوان التي صورت بها تلك الحياة مأخوذة من الحياة الدنيا والتجارب الدنيوية؛ لأن أولئك الذين مرَّ وصفُهم بأنهم كانوا يلقون نعالهم وملابسهم ليرقصوا أمامه فرحًا عند وصول الملك حينما يعبر النيل السماوي هم الآلهة. ولكنهم قد مثلوا طبعًا كأنهم كانوا يفعلون في المساء ما اعتاد رعاياهم فعله فوق النيل الأرضي، وهم إذن الآلهة الذين كانوا يجففون أعضاء الفرعون عندما يستحم مع إله الشمس في «بحيرة البردي»، وكذلك تفعل الآلهة هنا للفرعون ما كان قد تعوَّد أن يفعله له حاجبه على الأرض.

ولكن بالرغم من أن هذه المتون العتيقة كانت في الواقع متأثرة جدًّا بالحياة الدنيوية التي نقلت عنها، فإنها كانت في مجموعها تصور أرضًا غير معروفة لنا تقريبًا، وعندما يحاول الإنسان ارتياد مجاهل تلك الأرض فإنه يحسُّ كأنه يرود غابة فطرية شاسعة الأرجاء، أو كأنها غياض مسحورة مفعمة بأشكال غريبة وأشباح مخيفة تتراءى كأنها تقطن في تيه لا منفذ منه. فإننا نجد فيها كتابة عتيقة تُخفي في ثناياها كلمات ذات معنًى غامض، وقد يجوز أن نعرف تلك الكلمات تمام المعرفة لو أنها كانت مرتدية لباسها المعتاد الذي لبسته فيما بعد، وكذلك كانت تستعمل تلك الكلمات العتيقة في مواقف ومعانٍ غريبة عن القارئ الحديث، فكانت في تلك الحالة غامضة كهجايتها.

ويوجد في هذه المتون مجموعة أخرى كبيرة من الكلمات البالغة حد الغرابة، المخالفة لتلك الكلمات المعروفة المنكرة، وأعني بذلك طائفة من الكلمات العتيقة المهجورة التي قد عاشت حياة طويلة شائعة الاستعمال في دنيا قد مُحيت وصارت نسيًا منسيًّا، فهي بعد أن وخطها المشيب كانت كالعدَّاء المنهوك القوى، تترنح على مرأًى منا مدة قصيرة في أقدم أفق معروف لدينا؛ فقد ظهرت فقط في هذه المتون العتيقة، ثم اختفت اختفاءً أبديًّا بعد عصر تلك المتون؛ ومن ثم لا نصادفها مرة ثانية في متون مصرية أخرى.

وهذه المتون تكشف لنا مع شيء من الإبهام عن دنيا من التفكير والكلام كانت قد اختفت من الوجود؛ ويعتبر هذا العصر آخر العصور التي لا تحصى، والتي مرت بها حياة عصر ما قبل التاريخ حتى صار قابَ قوسين أو أدنى من الدخول في عصر حياة الإنسان التاريخية المعروفة لنا في ذلك الحين. ولكن هذه الكلمات الغريبة التي وَخَطَها المشيب، وهي البقية الباقية لنا من عصر منسيٍّ مهجور استمرت مستعملة فيه مدة جيل أو جيلين في متون الأهرام، وكثيرًا ما تستمر غرابتها بالنسبة إلينا حتى يزول استعمالها نهائيًّا.

وليس لدينا من الوسائل ما نعرف به معناها أو توجيهها حتى تبوح لنا عن أسرارها أو عن الرسالة التي كانت تحملها في غضونها، وليس لدينا من فنون اللغات القديمة ما نحاول به معرفة ما تُكنُّه من الأسرار. ويوجد بجانب تلك الكلمات أيضًا طائفة أخرى من التراكيب العويصة التي زاد في صعوبتها طبيعة ما تحويه من المعاني المبهمة الغامضة.

ولما كانت هذه التراكيب مفعمة بتلميحات عن حوادث أساطير ضاعت معالمها عنا وعادات ومعاملات قد فات زمنها منذ عهد بعيد؛ فهي إذن بتلك الحالة الغامضة تعد لغزًا لا يوضح لنا حياة ولا فكرًا ولا تجربة، بل ضاعت معالم كل ذلك في بيداء الجهالة التامة. وقد ذكرنا فيما سلف أن الغاية المهمة من «متون الأهرام» في الأصل هي ضمان سعادة الملك في الحياة الأخروية؛ لذلك نجد أبرز شيء في هذه المتون الاحتجاج الملحَّ، بل الاحتجاج الحماسي، ضد الموت، ويمكن أن نعبر عن هذا الاحتجاج بأنه صورة لأقدم ثورة عظيمة قام بها الإنسان ضد الظلمة والسكون العظيمين اللذين لم يُفلت منهما أحد (القبر).

وكلمة الموت لم تذكر قط في «متون الأهرام» إلا بصيغة النفي أو مستعملة للعدو، فترى التأكيد القاطع بحياة المتوفى: «الملك «بيبي» لم يمت بل جاء معظمًا في الأفق؛ هيا أيها الملك «وناس»! إنك لم تسافر ميتًا بل سافرتَ حيًّا، لقد سافرت لكي يمكنك أن تعيش، وإنك لم تسافر لكي تموت.» «إنك لن تموت، هذا الملك «بيبي» لن يموت» «الملك «بيبي» لا يموت بسبب أي ملك ... ولا بسبب أي ميت، هذا الملك «بيبي» يعيش أبدًا، عش! إنك

لن تموت، وإذا رسوت [استعارة للموت] فإنك تحيا [ثانية]، هذا الملك «بيبي» قد فر من موته.»

وهكذا تجد تجنب ذكر الموت باستمرار في هذه المتون. وكثيرًا ما تختم صيغة تجنب الموت بالتأكيد الآتي: «إنك تعيش، إنك تعيش، ارفع نفسك، إنك لن تموت، فقم، ارفع نفسك.» أو «ارفع نفسك أيها الملك السامي بين النجوم التي لا تفنى [وهي النجوم الثوابت]، إنك لن تفنى أبدًا.» وإذا لم يكن بدٌّ من الإشارة إلى حقيقة الموت المرة، فإنه يسمى «النزول على الأرض» أو ربط حبال السفينة في المرساة — كما سبق ذكر ذلك — أو كان يفضل في مثل هذه الحالة ذكر كلمة «الحياة المنفية»؛ ولذلك كان يستحب قول «ليس حيًّا» بدلًا من النطق بالكلمة المشئومة، أو كانت هذه المتون القديمة تعيد إلى الذاكرة ذكريات شائقة لسعادة مفقودة قد تمتع بها الناس ذات مرة «قبل أن يأتي الموت». ومع أن أسمى موضوع في «متون الأهرام» كان الحياة (أي حياة الملك الأبدية)، فإن هذه المتون كانت تتألف من مصادر متنوعةً جدًّا.

ولما كانت كل طريقة وكل نفوذ يستعمل للوصول للغرض المقصود (الحياة بعد الموت)؛ فإن الكهنة الذين وضعوا تلك المجموعة الباقية لنا من الأدب القديم — وهي أقدم ما وصل إلينا للآن — كانوا يستعملون كل أنواع العقائد القديمة التي تعدُّ في نظرهم مرعية مستجابة، أو التي وجدوا أنها تفيد لذلك الغرض. ويمكن القول بأن «متون الأهرام» تحتوي بوجه خاص على ستة موضوعات: (١) شعائر جنازية. (٢) وشعائر خاصة بالقرب المأتمية عند القبور وتعاويذ سحرية. (٣) وشعائر قديمة خاصة بالعبادة. (٤) وأناشيد دينية قديمة. (٥) وأجزاء من أساطير قديمة. (٦) وصلوات وتضرعات لفائدة الملك المتوفى.

وتقع هذه المتون في طبعتها الحديثة في مجلدين من القطع الكبير يشتملان على القراءات والتوجيهات المختلفة لنصوصها، وهذان المجلدان يحويان من المتون أكثر من ألف صفحة، وقد قسمها الناشر الأول إلى ٧١٤ صيغة. وإذا أمكننا الإشارة إلى «متون الأهرام» بصفة عامة كما فعلنا، فلا يمكننا معرفة معانيها معرفة تامة، فإن ذلك يعدُّ من أصعب الأمور. ولكن لحسن الحظ يمكن فهم شكل الأدب الذي تحويه هذه المتون واستساغته بموازنته بموضوعات المتون الأخرى. ولدينا من بين أقدم القطع الأدبية من هذه المتون، الأناشيد الدينية، وهي تنبئ عن تركيب شعري قديم بهيئة أبيات من الشعر الموزون المقفى المنسجم في وضع كلماته ومعانيه؛ وقد نقل العبرانيون هذا التركيب

الشعري إلى أدبهم بعد ألفي سنة منذ ذلك التاريخ، وهو تركيب معروف لنا في «المزامير» باسم «توازن الأعضاء».[٢] ويرجع استعمال ذلك التركيب في «متون الأهرام» إلى الألف الرابعة قبل الميلاد. وعلى ذلك يعدُّ وجوده في هذه المتون أقدم من وجوده في أية بقعة أخرى من العالم بمراحل بعيدة. والواقع أنه يعدُّ أقدم صورة للأدب المعروف عندنا.

وهذا الأدب لا ينحصر في الأناشيد المذكورة فقط، بل يوجد كذلك في نبذ أخرى من «متون الأهرام»، ولكنها على أية حال لم تصل إلى درجة الكمال الذي نلمسه في تلك الأناشيد.

وزيادة على ما ذكر من التركيب الشعري الذي يرتفع بهذه النبذ إلى مرتبة الأدب المعروف لدينا الآن ما نجده كثيرًا في بعض كتابات مبعثرة تحمل في مظهرها صفات الأدب من الوجهة الفكرية واللغوية، فمثلًا نجد أثرًا دقيقًا من مجال الخيال في أحد الأوصاف التي ذكرت عن بعث «أوزير» جاء فيه: «فك لفائفك، إنها ليست لفائف بل خصلات شعر «نفتيس».» (و«نفتيس» هي الإلهة المنتحبة التي انعطفت على جسم أخيها المتوفى). فالكاهن القديم الذي كتب ذلك السطر قد رأى في اللفائف التي تزمل الصورة الجامدة خصلات الشعر الغزيرة التي تتدلى من شعر الإلهة وتختلط باللفائف، ونجد كذلك قوة عنصرية لذلك الخيال الوثاب الذي يدرك العواطف الودية لكل العالم عندما تشعر العناصر الطبيعية بالنازلة الرهيبة التي تتمثل في موت الملك، ونجد كذلك القوة الخطيرة التي تتمثل في موت الملك وفي حلوله بين آلهة السماء فيما يقوله المحزونون على الملك: «السماء تبكي من أجلك، والأرض تزلزل من أجلك.» وفيما يقوله الناس عندما يرونه في الخيال صاعدًا إلى القبة السماوية: «إن السماء محجبة بالغيوم، والنجوم مطموسة، والقبة الزرقاء (الأقواس) تهتز، وعظام «رب» الأرض تزلزل، وهبوب الريح سكن عندما رأت الملك مشرقًا قوي البطش.»

وليس لدينا شك في أن الغرض من تلك المتون الجنازية كلها لم يكن لمصلحة الملك فحسب، بل هي بوجه عام تحتوي على معتقدات لا تنطبق إلا عليه، وخاصة عندما تذكر أنها لم تكتب إلا في المقابر الملكية فقط، فمن الحقائق الهامة التي يجب التنبيه عليها إذن أن رجال أشراف ذلك العصر لم يستعملوا أبدًا متون الأهرام في نقوش مقابرهم.

[٢] راجع: ما كتبناه عن أوزان الشعر.

ولما لم يكن في مقدور متون الأهرام زعزعة الرأي القائل بوجود الحياة في القبور، فإنها لم تعر هذا الرأي اهتمامًا كبيرًا، بل وجهت جميع همتها تقريبًا إلى حياة في نعيم يقع في مملكة بعيدة.

ومما تستحق معرفته والاهتمام به أن تلك المملكة البعيدة لا يزاد بها إلا «السماء»، وأن متون الأهرام لا تعرف شيئًا تقريبًا عن الحياة الأخروية المظلمة التي توجد في العالم السفلي؛ ولذلك فإن عالم الأموات عندهم لا يراد به إلا «العالم السماوي» بهذه الصيغة.

وقد اختلط في تلك الآخرة السماوية المذكورة في متون الأهرام مذهبان قديمان:

أولهما يمثِّل المتوفى بصورة نجمة. والثاني يصور المتوفى حالًّا في إله الشمس، أو بعبارة أخرى: يصور ذات المتوفى بأنه نفس إله الشمس.

وبديهي أن هذين المذهبين اللذين يمكن تسميتهما «بآخرة نجمية، وآخرة شمسية» على التوالي كانا في وقت ما مستقلين، ثم دخل كل منهما في شكل آخرة سماوية هي التي نجدها في متون الأهرام. فقد كان من التصورات الطبيعية عند ساكن وادي النيل أن يرى في بهاء سماء مصر الصافية ليلًا جموع هؤلاء الناس الذين سبقوه إلى الحياة الأخروية؛ فقد طاروا إلى السماء كالطيور مرتفعين فوق كل أعداء الهواء، فكانوا عند حلول الظلام في كل ليلة يجتازون أقطار السماء بصفتهم نجومًا أبدية.

وقد رأى المصري أن جمهور الموتى خاصة في تلك النجوم التي تسمى «غير الفانية»، ويقال إن تلك النجوم تقع في الجهة الشمالية من السماء. ولذلك صار مما لا شك فيه أن النجوم المقصودة بالذكر هي النجوم القطبية التي لا تغرب ولا تغيب.

وقد قام جدال كبير بين علماء التاريخ القديم عن سر اتجاه ممر مدخل الهرم المنحدر شطر النجمة القطبية.

وقد بينت نقوش متون الأهرام السر في هذا الاتجاه الذي لم يهتد إليه أحد إلى الآن، وهو أن روح الملك عندما تخرج من ذلك الممر يحملها هذا الاتجاه على الصعود فورًا إلى النجوم القطبية، ومع أن المذهبين المذكورين: النجمي والشمسي، يوجدان معًا جنبًا لجنب في متون الأهرام، فإننا نجد أن المذهب الشمسي هو السائد بدرجة عظيمة حتى يصح لنا بوجه عام أن نصف متون الأهرام بأنها شمسية الأصل.

ومن المحتمل أن يكون الاعتقاد بالمصير الشمسي قد نشأ في عقيدة قدماء المصريين عن طريق شروق الشمس ثانية كل يوم بعد غروبها، فكان يحدث بذلك الموت على الأرض، وأما الحياة فكانت تكتسب في السماء فقط، وهو المكان الأعلى الذي يرفع إليه الملك فوق

المصير المحتوم الذي يذهب إليه عامة الناس؛ «الناس يفنون وأسماؤهم تمحى، فأمسك أنت بذراع الملك «بيبي»، وخذ أنت الملك «بيبي» إلى السماء حتى لا يموت على الأرض بين الناس.»

وتلك الفكرة القائلة بأن الحياة توجد في السماء هي الرأي السائد. وهي أقدم كثيرًا من المذهب «الأوزيري» في متون الأهرام. وقد بلغ هذا الرأي درجة من القوة جعلت نفس «أوزير» يمنح بضرورة الحال آخرة سماوية شمسية، وكان ذلك في المرحلة الثانية التي دخلت فيها أسطورته في متون الأهرام.

والموضوع الهام في متون الأهرام هي تطلع المتوفى لحياة أخروية فاخرة في أبهة حضرة إله الشمس، حتى إن نفس القبر الملكي قد اتخذ من أقدس شكل يرمز به إلى الشمس، وهو الشكل الهرمي.

وقد عمد لاهوت الحكومة الذي جعل الملك الابن المجسم والممثل للإله «رع» على الأرض إلى تصوير الملك يسيح في السماء بعد الموت ليسكن مع والده إلى الأبد، أو أنه يحل محله ويكون خلفه في السماء كما كان خلفه في الأرض. وعلى ذلك نجد أن الآخرة الشمسية هي في الواقع المصير الملكي، ولا يبعد أن ذلك المصير كان خاصًّا «بالفرعون» فقط، ثم صار ذلك المصير فيما بعد بالتدريج حقًّا لجميع البشر يشاركونه فيه. ولم يكن في الإمكان إعطاء ذلك الحق لهم إلا بعد أن كان كل مطالِب بذلك المصير يتصف بالصفة الملكية أيضًا.

(١) أمثلة من متون الأهرام

(١-١) من فصل ٤٦٧

إن من يطير يطير، وهكذا يطير الملك أيضًا بعيدًا عنكم يا أيها الناس
إنه ليس من أهل الأرض، بل هو من أهل السماء
وأنت يا إله مدينته، اجعل روح «كا» الملك بجوارك
إن الملك قد طار إلى السماء في صورة سحابة مثل طائر الواق
إن الملك قد قبَّل السماء كصقر

وإنه (الملك) قد وصل إلى السماء كجرادة[٣] (وفي رواية أخرى مثل حور الأفق) قد جعلتها الشمس لا ترى.

(١-٢) ومنها فصل ٣٣٥ سطر ٥٤٦

ما أجمل مشاهدة الملك وهو مزين الرأس بتاج «رع»!
ومئزره عليه كمئزر «حتحور»، وريشه كريش صقر حينما يصعد إلى السماء بين إخوته الآلهة.

(١-٣) ومنها فصل ٢٦٧ سطر ٣٦٤

إن قلبك معك يا «أوزير»، وقدماك معك يا «أوزير»، وذراعاك معك يا «أوزير»
وهكذا فإن قلب الملك معه، وقدماه معه، وذراعاه معه[٤]
وقد ضرب له سلم «على الأرض»، فهو يرقى فيه إلى السماء
وإنه يصعد «إلى السماء» على دخان المبخرة العظيمة
وهذا الملك يطير كطائر، ثم يرفرف منخفضًا كجعل.[٥]
على العرش الخالي الذي في سفينتك يا «رع»

---

[٣] هذا التشبيه الساذج في ظاهره قد حفظ في متون هرمين، غير أنه لم يعجب ذوق الناشر المثقف الذي كان يحفر متون أهرام «ببي»، فوضع بدلًا من الجرادة «حور أختي إله الشمس»، وبذلك أفسد المعنى؛ وذلك لأن المؤلف الأول أراد أن يشبه الملك في ارتفاعه إلى السماء بالصقر الذي يحلق عاليًا كأنه يقبل السماء، ثم بالجرادة التي تطير منخفضة بالقرب من سطح الأرض، وبذلك يكون الملك مرتفعًا في عليائه كالصقر الذي يمثل إله الشمس، وكذلك يرفرف منخفضًا كالجرادة ليكون قريبًا من أهل الأرض الذين كان يحكمهم، وكذلك ليمكنه أن يأخذ من الأرض طعامه اليومي.

[٤] يريد هنا: كما أنه لم يكن هناك شيء ناقص من جسم «أوزير» فهكذا يكون الحال مع الملك المتوفى (الفصول والأسطر التي نشير إليها هنا هي حسب طبعة الأستاذ زيته: Die. Altaegyptischen Pyramiden Texte. K. Sethe Band I. II).

[٥] يقصد هنا الملك يطير مرتفعًا إلى السماء كالطائر العادي، ولكنه حينما يقرب منها يرفرف منخفضًا كالجعل الذي لا يقوى على التحليق في السماء بعيدًا.

قف وتنحَّ بعيدًا داخل مكانك يا من لا يعرف السير في الأعشاب الكثيفة.[٦]
وعلى ذلك فإن الملك يأخذ مكانك ويسيح في سفينتك يا «رع»
وإن هذا الملك يفصل نفسه عن الأرض في سفينتك يا «رع»
وعندما تشرق في الأفق يكون صولجانه في يده
بوصفه قائدًا لسفينتك يا «رع»
وإنك تصعد إلى السماء وتبعد نفسك عن الأرض بعيدًا عن المرأة والوظيفة.[٧]

(١-٤) ومنها فصل ٢١٠ سطر ١٣٦

استيقظ أيها القاضي،[٨] انهض عاليًا يا «تحوت»
أيها النائمون، هبوا استيقظوا يا من في «كنست»[٩]
أمام الطائر العظيم الذي ارتفع من النيل وابن آوى الذي خرج من شجرة الأثل[١٠]
إن فم الملك لطاهر، وإن التاسوعين قد بخراه
وإن لسان الملك الذي في فمه طاهر
وإنه يمقت البراز ويعاف البول[١١]
والملك يكره ما يُكره، فهو يكره هذا ولا يأكل ذلك (أي البراز والبول)
كما يكره الإله «ست» هذين التوأمين اللذين يسبحان في السماء[١٢]

---

[٦] يقصد هنا أن إله الشمس لا يمكنه أن يُسيِّر سفينته وهو لا يزال طفلًا في الصباح لما يعترضه من المصاعب، فيطلب إليه الملك أن يتنحَّى عن مكانه وهو في قدرته أن يُسيِّرها. والتشبيه مأخوذ من الأعشاب التي تنبت في النيل وتعمل فيه سدودًا ومنحنيات عند بحر الغزال. ونيل مصر في عالم الدنيا هو نيلها في عالم الآخرة.

[٧] وهما سبب شقاء العالم ومصدر متاعبه، (وحرفيًّا حلة الوظيفة)، والتشبيه فريد في بابه.

[٨] اسم إله القمر «تحوت» الذي كان يفصل في الخصومات بين الآلهة.

[٩] لفظة «كنست» تدل على شمال بلاد النوبة، ولكنه يقصد بها هنا جزءًا من السماء، والواقع أن المصريين كانوا يعتقدون أن عالم الآخرة كعالم الدنيا في أسمائه وشكله وصفاته.

[١٠] كان المتوفى يظهر فجأة على هيئة عصفور يطير وعلى هيئة ابن آوى يتسلل إلى الخارج.

[١١] كان المصري الفطري يمقت كل المقت أن يضطر إلى أكل برازه بعد الموت.

[١٢] الشمس والقمر.

وأنتما يا «رع» و«تحوت» خذاه إليكما ليكون معكما
حتى يأكل مما تأكلان ويشرب مما تشربان
وحتى يعيش مما تعيشان، وحتى يسكن حيث تسكنان
وحتى يصير قويًّا بما يجعلكما قويين، وحتى يسيح هناك حيث تسيحان
إن نُزله قد أقيم في حقل الغاب وفيضه في حقل قربان الطعام
وطعامه معكما أيها الإلهان وشرابه مثل الخمر التي يشربها «رع»
وإنه يحيط بالسماء كرع ويخترق القبة الزرقاء مثل «تحوت» (القمر).

(١-٥) ومنها فصل ٤٣٩ سطر ٨١٢

إن الملك هو الإلهة «ساتيس»[١٣] القابضة على ناصية الأرضين
وهو الواحدة المحرقة التي استولت على أرضيها (الوجه القبلي والبحري) ثانية
ولقد صعد الملك إلى السماء ووجد «رع» واقفًا هناك فاقترب منه
وجلس بجانبه ولم يرض «رع» أن يجعله ينزل إلى الأرض
لعلمه أن «الملك» أجلُّ منه مقامًا
وإن الملك لأعظم روحانية أكثر من الأرواح[١٤]
وإنه لفاخر أكثر من الفاخرين
وإنه لثابت أكثر من الثابتين
وإن الملك قد انتصر على سيدة «حتيت»[١٥]
وإنه نصَب نفسه «ملكًا» في الجزء الشمالي من السماء معه[١٦] وعلى الأرض
واستولى على الأرضين بوصفه ملك الوجه القبلي والبحري كملك الآلهة.

---

[١٣] إلهة أقاليم الشمال، وكان المتوفى يصبح قويًّا مثلها عندما يصير إلهًا جديدًا.

[١٤] أي الملوك الذين توفوا ويسكنون السماء كنجوم.

[١٥] وهي إلهة رفيقة للإله «رع» في مدينة «هليوبوليس»، وهي التي أطلق عليها فيما بعد اسم الإله «حتحور»، وكانت تعتبر كاليد التي نكحها الإله «آتوم» وبها خلق «التاسوع». راجع (Sethe Kommentar B. IV. p. 52)، وراجع كذلك قصة المخاصمة بين «حور» و«ست» عند الكلام على الشجار الذي قام بينهما حينما أراد «ست» أن يأتي «حور».

[١٦] أي «رع».

(١-٦) المتوفى يظفر على السماء (فصل ٢٥٧ سطر ٣٠٤)

إن في السماء هياجًا
وإنا لنرى شيئًا جديدًا، هكذا تقول الآلهة الأزلية[١٧]
وأنتم يا آلهة التاسوع، إن في أشعة الشمس لصقرًا (أي ملكًا)، وهو الذي يذهب من السماء إلى الأرض
وإن الآلهة أصحاب الصورة في خدمته
والتاسوعان جميعًا يخدمونه
ولذلك تبوَّأ مقعده على عرش رب الجميع
وبذلك أصبحت السماء في قبضة الملك، فهو يخترق سماءه التي من حديد
وإن الملك قد عرف طريقه إلى الإله خبري (= الشمس وقت الظهيرة)
وإن الملك يودعه من الحياة (أي تاركًا الحياة) إلى الغرب؛ لأجل أن يكون في صحبة سكان العالم الآخر (أي مع أوزير)
وإن الملك يشرق ثانية مُجددًا في الشرق
وإليه يأتي الفاصل في الشجار (تحوت) في خضوع
فاخدموا أنتم أيتها الآلهة الملك بوصفه أسن واحد بينكم (أي رع)
وهكذا تكلم (أي تحوت) لمن كان مسيطرًا على عرشه (أي رع)
لأن الملك في قبضته «الأمر»،[١٨] والأبدية قد قيدت إليه
وقد وضع «الفهم» أمامه (أي عند قدميه)
فهللوا للملك؛ لأنه قد استولى على الأفق.[١٩]

---

[١٧] التي تشاهد الاضطراب. ويجوز أن يقصد هنا إما الآلهة الأقدمين الذين كانوا في الأشمونين، وإما أن يقصد الملوك الذين سبقوا الملك المتوفى.

[١٨] «الأمر» و«الفهم» هما إلهان كانا يتبعان إله الشمس في سياحته اليومية، فالملك قد استولى على الأمر بعد أن أصبح مثل الشمس.

[١٩] يقصد بذلك أن الملك قد ظهر ثانية في الشرق بعد أن اختفى في الغرب طوال الليل؛ أي إنه يولد كل يوم. والكلام موجه هنا من الإله «تحوت».

(١-٧) أنشودة آكلي لحوم البشر (فصل ٢٧٣-٢٧٤ سطر ٣٩٣ إلخ)

إن السماء محجبة بالغيوم والنجوم مطموسة
والقبة الزرقاء (القوس) تهتز. وعظام (رب) الأرض تزلزل
وهبوب (الرياح) سكن
عندما رأت الملك مشرقًا قوي البطش
بوصفه الإله الذي يعيش على آبائه ويغذي نفسه بأمهاته
وإن الملك رب الفطنة، أمه لا تعرف اسمه
وتمجد يده (الملك) في السماء وسلطانه في الأفق
ومثله في ذلك مثل «آتوم» الذي خلقه
ولقد سوَّاه ليكون أقوى منه سلطانًا
فكرامات الملك من خلفه ومقاماته[٢٠] عند قدميه
وآلهته فوقه (= أي يحلِّقون فوق رأسه حماية له في صورة صقر أو شمس مجنحة) وصِلَّاه على جبينه[٢١]
وثعبان الملك المرشد على جبينه (= أي الذي يرشده في المعركة)، والذي ينفذ ببصيرته في روح (العدو)
وذو اللهيب الفتاك
وإن رقبة الملك على جسمه (= أي رأسه في مكانه الحقيقي)
وإن الملك هو نور السماء الذي كان يشكو فيما سلف الحاجة، وقد وطد العزم على أن يعيش من كينونة كل إله
فهو الذي أكل أحشاءهم بعد أن أتى بهم لهذا الغرض، وأجسامهم ملأى بقوة السحر من جزيرة النار[٢٢]

---

[٢٠] يقصد هنا بـ «الكرامات» و«المقامات» مجموعتين من الملائكة الذين كانوا يحضرون وقت ولادة الملك؛ فالأولى (كاو = الكرامات)، وهم من الذكور وكانوا يحمونه، والثانية (حمسوت) كانت تحت قدميه؛ أي في خدمته. راجع (Naville Der Elbahri, II. 47. 53)، وراجع أيضًا (Luxor, LD. II. 75 a).

[٢١] الصلان هنا: علامة إلهتي «الكاب» و«بوتو» (أي الوجه القبلي والوجه البحري)، وكانتا تمثَّلان في صورة ثعبانين يوضعان في تاج الملك ليحمياه من أعدائه.

[٢٢] جزيرة النار التي كان يعتقد أنها في الأشمونين، وهي المكان الذي أشرقت منه الشمس أولًا.

وإن الملك مجهز لأنه قد استحال في جسمه كل الأرواح
وأشرق مثل العظيم (الشمس)، وهو السيد «الذي يداه موجودتان»[٢٣]
وإن الملك هو من حقَّت كلمته مع من خفي اسمه[٢٤] (أي أصبح مبرأً أمام الله)
في ذلك اليوم الذي ذبح فيه المسنون
والملك هو رب القربان الذي عقد الحبل (أي الذي جهَّز السفينة بكل معداتها من طعام وغيره)
ومن أعد بنفسه وجبته
وإن الملك لواحد يأكل الرجال ويعيش على الآلهة
وهو رب الرسل الذي يهب الرسالات
وهو الآخذ بالنواصي الذي في ... والذي يصطادهم بالأحبولة لأجل الملك
وإنه الثعبان المرفوع الرأس الذي يحرسهم له، والذي يطردهم بعدًا عنه
وإنه هو الذي يسيطر على «الدم الأحمر» (= اسم إله) الذين أوثقوه له
وإنه الإله «خنسو» الذي ذبح الأرباب، وبذلك قطع رقابهم للملك
فأخذ له ما في بطونهم
وإنه هو الرسول الذي أرسله الملك ليعاقبه
وإن «عاصر الخمر» (= اسم الإله) هو الذي قطعهم للملك إربًا إربًا
وطها له منهم وجبة على موقده المسائي
وإن «الملك» هو الذي يلقف سحرهم ويبتلع أرواحهم
فالممتلئون من بينهم لإفطاره في الصباح
والمتوسطون حجمًا لوجبته في المساء
والصغار من بينهم لوجبته في العشاء
والمسنون من الرجال والنساء من بينهم قد خُصِّصوا لتضميخه
أما الذين صنعوا من المعدن، وهم القاطنون في الجهة الشمالية من السماء (النجوم القطبية) فهم الذين أوقدوا له النار تحت القدور التي تحتويهم بأفخاذ أكبرهم سنًّا

---

[٢٣] لقب لرئيس الكهنة.

[٢٤] يقصد بمن خفي اسمه هنا: الثعبان الذي كان يحارب إله الشمس في سياحته في السماء.

وسكان السماء يخدمون «الملك» عندما نصب الموقد له من أقدام زوجاتهم المسنات
وإنه اجتاز السماءين جميعًا واخترق الأرض (يقصد الوجه القبلي والوجه البحري)
وإن «الملك» هو القوة العظيمة صاحب السلطان على الأقوياء
وإن «الملك» هو الصقر «عخم» الذي يفوق كل الصقور، وهو الواحد العظيم
وكل من يعترض «الملك» في طريقه فإنه يأكله قطعة فقطعة
وإن نفوذ «الملك» يتقدم على كل المكرمين الآخرين الذين في الأفق (= الملوك الأموات الذين سبقوه)
وإن «الملك» إله أكبر سنًّا (من أسن واحد بينهم)
فالآلاف يخدمونه والمئات يقدمون له القربان (يقصد بذلك عامة الشعب)
وقد أُعطي الشهادة بوصفه العظيم الجبار على يد «الجوزاء» والد الآلهة
وإن «الملك» قد أشرق من جديد «ملكًا» في السماء، وبذلك توج بتاج الوجه القبلي بوصفه رب الأفق
وهذا هو الذي هشم العمود الفقري
وهو الذي استل قلوب الآلهة
والذي أكل التاج الأحمر، وابتلع التاج الأخضر (الذي لونه كلون البردي في خضرته)
وإن «الملك» يعيش على رئات الحكماء ويمتع نفسه بغذاء القلوب والعيش على قوتها السحرية (أي القلوب)
و«الملك» يظهر اشمئزازه عندما يلمس بلسانه مادة التقيؤ التي تحدث، وهي التي في التاج الأحمر[٢٥]
ولكنه يسر عندما تكون قوة سحرهم في بطنه
وإن شرف «الملك» لم يغتصب منه
لأنه ابتلع علم كل إله
إن مدى حياة «الملك» هو الأبدية، وحدوده هي الخلود
وذلك لأنه يتصف بكرامة واحد، إذا أراد فَعَل، وإذا لم يرد لم يفعل
ومن كان يعيش في دائرة الأفق فإنه مخلد أبد الآبدين

[٢٥] يقصد بذلك الزر الذي يماثل عندنا زر الطربوش، وقد مثَّل خروجه من التاج الأحمر بالقيء. ولا بد أنه كان جزءًا هامًّا من التاج.

وأرواحهم في بطن «الملك» وقوتهم الروحانية ملك له
وذلك بوساطة حسائه الذي طُهِيَ للملك من عظام الآلهة
وأرواحهم قد استولى عليها «الملك»، وظلالهم (قد أخذت بعيدًا) من أصحابها
إن «الملك» هو ذلك الذي يظهر، ومن قد ظهر، ومن يبقى، ومن يبقى
وإن مرتكب الجرائم لن يكون في مقدوره أن يخرب مكان قلب «الملك» بين الأحياء في هذه الأرض أبد الآبدين (يقصد بذلك هرم الملك).

(١-٨) «حور» المسيطر على حربة الصدق يعلن وصول المتوفى إلى السماء[٢٦] (فصل ٤٤٠ سطر ٨١٥ إلخ)

هل تريد أن تحيا يا «حور» المسيطر على حربة الصدق؟
عليك إذن ألَّا تغلق مصراعيْ باب السماء، ويجب عليك أن تردع مصراعي بابك الحائلين
بمجرد أخذك روح «كا» هذا الملك إلى هذه السماء
بين المبجلين حول الإله، إلى هؤلاء الذين في حظوة الإله
وهم الذين يتكئون على صوالجهم والذين يسهرون على حراسة الوجه القبلي
والذين يرتدون ملابسهم الأرجوانية ويعيشون على التين
والذين يشربون الخمر ويدلكون أنفسهم بأحسن الزيوت
وعلى ذلك دعه (كا) يتكلم من أجل الملك للإله العظيم.

(١-٩) المتوفى يأتي كرسول إلى «أوزير» (فصل ٥١٨ سطر ١١٩٣)

(رجاء موجه إلى النوتي الذي يعبر بقاربه من شاطئ إلى آخر في السماء لينقل المتوفى حيث يسكن «أوزير»)
أيها العابر إلى حقل قربان الطعام

[٢٦] المخاطب هنا هو أحد حراس أبواب السماء. والعيشة التي توصف هنا هي عيشة الجنة في السماء.

أحضر لي هذا «الملك»، إنه هو الذي يروح، وإنه هو الذي يغدو
وهو ابن سفينة الصباح التي قد ولدته على وجه الأرض ولادة سليمة
وبها تحيا الأرضان على الجانب الأيمن «لأوزير»
وإنه بشير العام[٢٧] يا «أوزير»
انظر! إنه يأتي برسالة من أبيك «جب» ...
«إن محصول العام سعيد، ما أسعد محصول العام! إن محصول العام حسن، ما أحسن محصول العام!»
لقد نزل «الملك» مع التاسوعين في (الماء البارد)[٢٨]
إن «الملك» هو حبل مساحة التاسوعين
الذي به تؤسس حقول الطعام في السماء
ولقد وجد «الملك» الآلهة واقفين في انتظاره
ملفوفين في ملابسهم
ونعالهم البيضاء في أقدامهم
وعندئذ ألقوا بنعالهم البيضاء على الأرض
ثم خلعوا ملابسهم
«لم يهدأ لنا قلب حتى أتيت.» هكذا قالوا.

(١-١٠) الإلهتان ترضعان المتوفى[٢٩] (فصل ٥٠٨ سطر ١١٠٧)

إن الصاعد يصعد، وكذلك يصعد «الملك»
ولذلك تفرح سيدة بوتو (بلدة إبطو الحالية)، وقلب ساكنة الكاب في انشراح[٣٠]

---

[٢٧] يظن أنه الشخص الذي يقدم تقريرًا إلى سيده عن نتيجة المحصول، وكذلك يحضر إلى «أوزير» رسالة سارة من إله الأرض «جب».

[٢٨] هو اسم يطلق على جزء من السماء.

[٢٩] من المحتمل أن هذا كان يتلى عند تقديم قربان من اللبن.

[٣٠] هاتان الإلهتان هما إلهتا عاصمتي مصر في العهود القديمة؛ الأولى للوجه البحري، والثانية للوجه القبلي.

في ذلك اليوم الذي يعرج فيه «الملك» إلى المكان الذي فيه «رع»
ولقد ضرب لنفسه شعاع «رع» (بمثابة مصعد) ليصعد فيه
كسلم تحت قدميه
ليعرج فيه إلى المكان الذي تأوي إليه أمه «الصل الحي» الذي على رأس «رع»
وهي ترأمه وتقدم له ثديها ليرضعه
«يا بني، أيها «الملك» خذ ثديي هذا وارضعه أيها الملك.»
لماذا لم تأت؟ إئتِ إذن كل يوم من أيامك

[وبعد أسطر من هذه الفقرة نقرأ]:

إن «جب» هو الذي يأخذ بيد «الملك»
ويرشده إلى أبواب السماء
عندما يكون الإله على عرشه، وإنه لجميل أن يكون الإله على عرشه
والإلهة «ساتي» قد طهرته
بأباريقها الأربعة في إلفنتين:
مرحى! من أين أتيت أنت يا ابن أبي؟
إنه أتى من عند التاسوع المقدس الذي في السماء لأجل أن يشبعهم بخبزهم.
مرحى! من أين أتيت يا بني يا أيها الملك؟
لقد أتى من سفينة «زندر زند»
مرحى! من أين أتيت أنت يا ابن أبي؟
لقد أتى من عند أمَّيه هاتين، وهما العقابان
وهما صاحبتا الشعر الطويل والثُّدي المتدلية
واللتان على جبل «سحسح»
واللتان تعطيان ثدييهما إلى فم الملك «بيبي»
على أنهما لم تفطماه إلى الأبد.

(١-١١) مصير أعداء المتوفى (من فصل ٢٥٤ سطر ٢٨٩)

إن «الملك» يفصل في السماء بين المتخاصمين
لأن قوته هي نفس قوة عين الشمس «تبي»
وسلطانه المظفر هو سلطان عين الشمس المظفرة
وقد خلص «الملك» نفسه مما فعله هؤلاء ضده (الشر الذي ارتكبه «ست» ومساعدوه)
وهم أولئك الذين سرقوا وجبة غدائه عندما حل وقتها
وهم الذين سرقوا وجبة عشائه عندما حل وقتها
وهم الذين اغتصبوا النَّفَس من أنفه
وبذلك يأتون بأيام حياته إلى نهايتها
ولكن «الملك» أعظم نصرًا منهم، فإنه يشرق ثانية[٣١] «ملكًا» على شاطئه (أي شاطئ «نديت»، وهو المكان الذي قتل فيه «ست» أخاه «أوزير»)
وقلوبهم يقضي عليها بأصابعه
وأحشاؤهم تصبح فريسة لسكان السماء (الطيور)، ودماؤهم ملكًا لسكان الأرض (الوحوش)
وإرثهم يئول إلى الفقراء
ومساكنهم مآلها للنار وضِياعهم تصبح فريسة للفيضان
ليت قلب الملك هذا يصبح منشرحًا، ليت قلب الملك يصبح منشرحًا
فهو منقطع القرين وثور السماء
وقد أهلك هؤلاء الذين ارتكبوا ذلك ضده على الأرض، وقضى على نسلهم في الأرض أما ما سيستولي عليه الملك فهو ما أعطاه إياه والده «شو» في حضرة «ست».

[٣١] يمثل الملك هنا كالشمس التي تغيب كل يوم في المغرب، ثم تولد ثانية كل يوم في المشرق، وبذلك كان الغرب عند المصريين مكان الخلود والشرق مكان الولادة؛ فالملك كان مثله كمثل «رع» يغيب يشرق كل يوم.

(١-١٢) الفرح بالفيضان (من فصل ٥٨١ سطر ١٥٥١)

إن كهفك هذا هو ساحة «أوزير» العريضة يا أيها الملك
وهي التي تجلب ريح الشمال وتسوق النسيم
وهو الذي يوقظك «من سباتك» مثل «أوزير»[٣٢] يا أيها الملك
إليك يأتي عاصر الخمر يحمل ماء النبيذ
ويحمل الإله «خنتمنتف» (حور) أواني الخمر لصاحب السلطان في قصري الملك
وإنك تقوم وتقعد مثل الإله «أنوبيس» الذي يرأس الأرض المقدسة (الجبانة)
وتقف الأرض (اكر) إجلالًا لك، ويرفع «شو» (إله الفضاء) من أجلك
ومن يشاهدون النيل (أوزير) في تمام فيضانه يرتعدون «فرقًا»
أما الحقول فإنها تضحك، وجسور النيل تغمر بالمياه
ومن ثم تنزل موائد الآلهة، وتشرق وجوه القوم، وتبتهج قلوب الآلهة.[٣٣]

(١-١٣) إلى التيجان (فصل ٢٢١ سطر ١٩٦)

كانت تيجان الملك المختلفة والصل الذي يلبسه إكليلًا له تعتبر بمثابة إلهات تحارب له. وقد كانت منذ أقدم عصور التاريخ يطلب إليها أن تأخذ بناصر الملك في حروبه الكثيرة.

(أ) إلى تاج الوجه البحري

أيها التاج «نِت»، أيها التاج «إنو»، أيها التاج «العظيم»
أيها «الساحر»، أيها الصل «نسرت»

[٣٢] أي إنه يرجعه إلى الحياة ثانية كما عاد «أوزير» إلى الحياة بعد أن قتله أخوه «ست»، وأحيته أخته «إزيس».

[٣٣] أي إنه عندما يأتي الفيضان الذي تتوقف عليه حياة مصر تروى الأراضي وتؤتي أكلها؛ فيعم البشر والفرح جميع الناس، وكذلك الآلهة؛ لأنها ستحصل الآن على طعام أكثر بالقرابين التي كان القوم يقدمونها في المعابد.

ليتك تجعل الفزع يكون أمامي كالفزع الذي أمامك
ليتك تجعل الخوف الذي يتقدمني كالخوف الذي يتقدمك
ليتك تجعل الاحترام الذي أمامي كالاحترام الذي أمامك
ليتك تجعل الحب الذي أمامي كالحب الذي أمامك
ليتك تجعلني أهيم على رءوس الأحياء، ليتك تجعلني صاحب سلطان على رءوس الأرواح
ليتك تجعل سكينتي قوية ضد أعدائي
يا «إنو» لقد خرجت مني «مثل عين «حور»»، وإني خرجت منك «مثل أمي «إزيس» المقدسة».

(ب) إلى تاج الوجه القبلي[٣٤]

الثناء لك، أنت يا عين «حور»،[٣٥] يا بيضاء، يا عظيمة، يا من يفرح بجمالها تاسوع الآلهة حينما تشرق (أي عين «حور») في الأفق الشرقي
ويعبدك الذين فيما يرفعه «شو»،[٣٦] وكذلك الذين ينزلون بالأفق الغربي حينما تطلعين عليهم في العالم السفلي
امنحي فلانًا (الملك) القدرة على أن يفتح الأرضين بك، وأن يكون له سلطان عليها واجعلي «الأراضي الأجنبية»[٣٧] تأتي طائعة إلى فلان (الملك). إنك سيدة الضوء.

[٣٤] من مجموعة أناشيد قديمة من هذا النوع، وقد كتبت النسخة الأصلية لمعبد «سبك» في «الفيوم» في عهد الهكسوس أو حوالي ذلك، وبما أن الآلهة كانوا يعدون كملوك، فقد كانت لهم تيجانهم أيضًا (راجع Erman, Hymnen an das Diadem p. 23.).

[٣٥] كان التاج يمثل بعين «حور» التي هي في الأصل الشمس.

[٣٦] السماء التي تعتمد على «شو» إله الجو والفضاء.

[٣٧] في النسخة الأصلية: الآلهة.

(ج) نفس الموضوع[٣٨]

الحمد لله يا «عين حور» التي قطعت رءوس أتباع «ست».[٣٩] إنها داستهم بالأقدام،
وبصقت على «الأعداء» بما خرج منها، باسمها سيدة تاج «إتف»[٤٠]
سلطانها أكبر من سلطان أعدائها، باسمها سيدة السلطة[٤١]
والخوف منها قد غرس فيمن يحقرها، باسمها سيدة الخوف[٤٢]
يا أيها (الملك فلان)! لقد وضعتها على رأسك حتى تكون بها عظيمًا، وحتى تكون بها
ساميًا، وحتى يكون سلطانك بها عظيمًا بين (الناس)[٤٣]
إنك تسكنين على رأس «الملك فلان»، وتضيئين على جبينه، باسمك الساحرة»
(الناس)[٤٤] يخافونك، والشعوب الأجنبية تسقط أمامك على وجوهها، و«تسعة
الأقواس»[٤٥] تحني رءوسها لك من جراء ذبحك يا أيتها الساحرة.
وإنك تستعيدين «للملك فلان» قلوب البلاد الأجنبية الجنوبية والشمالية والغربية
والشرقية كلها جميعًا
أنت يا أيتها المحسنة، التي تحمي والدها،[٤٦] احمي «الملك فلانًا» من أعدائه، أنت أيتها
الساحرة الصعيدية!

---

[٣٨] راجع: Erman op. cit. p. 47.

[٣٩] عندما حارب ضد «ست».

[٤٠] هنا جناس في كلمة بصق (تف)، وكلمة (آتف) = التاج.

[٤١] هنا جناس في المصرية.

[٤٢] هنا جناس أيضًا.

[٤٣] في النسخة الأصلية: الآلهة.

[٤٤] في النسخة الأصلية: الآلهة.

[٤٥] اسم قديم للشعوب التسعة المجاورة لمصر.

[٤٦] إله الشمس.

(د) أناشيد الصباح[٤٧]

كان يرحب بالآلهة في المعابد في الصباح بأنشودة تشتمل بوجه خاص على النداءات التي كانت تتكرر دائمًا: «استيقظ في سلام.» ويتبع تلك الدعوة في كل مرة اسم مختلف للإله. وعلى ذلك كان المفروض أن الآلهة كانت تستيقظ كذلك في السماء بهذه الطريقة نفسها وبوساطة إلهات أيضًا. وهذا يساعدنا على فهم كُنْهِ هذه الأنشودة، وهي الأغنية التي كانت النسوة يوقظن بها الملوك في الصباح في أقدم عهود مصر التاريخية.

ويمكن أن يفرض الإنسان أن ألفاظًا مثل «أنت يا ملك، أنت يا سيد مصر، أنت يا رب القصر» قد حلت محلَّ الأسماء الإلهية في النسخة الأصلية للأنشودة، وكانت النسوة يغنينها بهذه الصورة أمام مسكن الملك الأول على وتيرة واحدة وبدون انقطاع، طالما تأتي على ذاكرة المغنية أسماء صالحة.

إلى إله الشمس[٤٨]

استيقظ بسلام، أنت يا أيها الواحد المطهر،[٤٩] في سلام!
استيقظ بسلام، أنت يا «حور» الشرقي، في سلام!
استيقظ بسلام، أنت يا أيها الروح الشرقي، في سلام!
اسيتقظ بسلام، أنت يا «حور أختي»، في سلام!
إنك تنام في سفينة الليل
وتستيقظ في سفينة الصباح
لأنك أنت الذي تشرق على الآلهة، ولا إله يشرق عليك!

---

[٤٧] راجع: Erman, Hymnen an das Diadem, p. 15 ff.

[٤٨] من «متون الأهرام» فصل ٥٧٣.

[٤٩] الشمس تغسل نفسها عند خروجها من الظلام.

إلى الصل الملكي[٥٠]

استيقظي في سلام! يا أيتها الملكة العظيمة، استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! يا أيتها الحية التي على حاجب الملك «فلان»، استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! يا أيتها الحية الصعيدية، استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! يا أيتها الحية البحرية، استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! يا «رننونت»، استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! يا «أوتو» صاحبة ... المفاخر. استيقظي في سلام، إن استيقاظك مليء بالسلام
استيقظي في سلام! أنت يا صاحبة الرأس المنتصب، وذات الرقبة العريضة،[٥١] استيقظي في سلام
إن استيقاظك مليء بالسلام
إلخ ... إلخ.

المصادر

اعتمادنا في ترجمة هذه الأناشيد على متون الأهرام التي نقلها الأستاذ زيته، ويعتبر أكبر عمدة في درس متون الأهرام، وعلى شرحه، وكذلك اعتمدنا على مصادر أخرى:

(1) Altaegyptischen pyramidentexte I. II.

(2) Ubersetzung und Kommentar zu den Altägyptischen Pyramidentexten B. I–IV.

(3) The Dawn of Conscience, Breasted p. 65 etc.

(4) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians p. 2, etc.

---

[٥٠] راجع: Hymnen an das Diadem, p. 34.

[٥١] هكذا يصور الصل الملكي.

الأناشيد الدينية في عهد الدولتين الوسطى والحديثة

ذكرنا عند الكلام على «متون الأهرام» أن هذه المتون كانت خاصة بالملوك دون سواهم في بادئ الأمر، وأن ما جاء فيها من الأناشيد كان خاصًّا بإله الشمس «رع»، وأنه من الجائز استعمالها للملك بوصفه ابن الشمس. وكذلك ذكرنا بعض الأناشيد التي كانت تنشد تمجيدًا للتيجان التي كان يلبسها الملوك بوصفها حامية لهم. ورغم أن الإله «أوزير» قد ذكر في «متون الأهرام» ووُحد الملك به باعتباره إله الموتى، فإن الديانة التي سادت هذه المتون كانت الديانة الشمسية؛ أي عبادة الإله «رع»، كما ذكرنا من قبل، ولم نجد لعبادة أفراد الشعب في هذه المتون أثرًا، وقد ظلت الحال كذلك إلى أن أخذت ديانة الإله «أوزير» تظهر في عالم الوجود. والواقع أن اسم «أوزير» لم يظهر في صلوات القوم الدينية إلا في عهد الأسرة الخامسة، وهو — كما ذكرنا — العهد الذي بدأ الملك المتوفى يؤحد نفسه به؛ غير أننا من جهة أخرى نعلم أن «أوزير» — منذ أزمان سحيقة قد ترجع إلى الأسرة الأولى من التاريخ المصري — كان قد أصبح نموذجًا للملك «حور» الذي على العرش؛ يحتذي حذوه كما احتذى حور حذو والده «أوزير».

والمعترف به الآن أن «أوزير» كان يعد في بادئ الأمر ملكًا عاش حقيقة على الأرض ثم قتل، ومن ثم كان يرمز به للقوى التي كانت تموت في زمنه ثم تحيا ثانية؛ كالنبات والنيل مثلًا، وهكذا يفسر العلماء أسطورته التي تمثل الحياة والموت ثم القيامة، ثم الحرب التي قام بها ابنه «حور» ضد عدوه «ست»، والمساعدة التي قامت بها كلتا أختيه «إزيس» و«نفتيس»، وقام بها «تحوت» و«أنوبيس» وغيرهم من الآلهة، وسنرى الإشارة إلى هذه الحقائق في المتون التي سنوردها هنا.

وقد كان «أوزير» بوصفه ملكًا على الأرض، في بادئ الأمر، إلهًا محليًّا في مدينة «بوصير» (الواقعة في مركز سمنود الآن)، ثم أُحِّد فيما بعد بإله محلي في صورة آدمية واسمه «عنزتي» في المقاطعة التاسعة من الوجه البحري، وقد أخذ «أوزير» فيما بعد محله كما تدل على ذلك «متون الأهرام»، والظاهر أن عبادة «أوزير» قد امتدت جنوبًا حتى بلغت أسيوط، وقد أُحِّد «أوزير» مع الإله «وبوات» (ابن آوى) كما سنشاهد ذلك في أنشودة «أوزير» الكبرى. ومن جهة أخرى نعرف أن عبادة «أوزير» كانت قد وطدت في العرابة المدفونة منذ العهود السحيقة؛ حيث كان يعبد قبله إله يدعى «خنتامنتي» (أول أهل الغرب). والظاهر أن «أوزير» قد أُحِّد مع هذا الإله الأخير منذ ظهور «متون الأهرام»، وهو يمثَّل في صورة ابن آوى أيضًا.

ويلاحظ أن الأستاذ «إدوردمير» — في بحث له عند الكلام عن الإلهين «وبوات» و«أنوبيس» — لا يعتقد في تأحيدهما مع «أوزير» في عهد الدولة القديمة.[1] ولكنا من جهة أخرى نعرف من متن من عهد الدولة الوسطى أن «خنتامنتي» في هذا العهد كان قد حل محله الإله و«ننفر» (الكائن الطيب)، وهو في الحقيقة اسم للإله «أوزير».

ورغم أن «أوزير» يرجع في أصل نشأته إلى بلدة «بوصير»، فإن عبادته فيها كانت ثانوية بالنسبة لعبادته في العرابة المدفونة، وذلك منذ عهد ظهور «متون الأهرام» حتى نهاية العهد الفرعوني. ومما تجب الإشارة إليه هنا أننا نشاهد في كل مكان تتغلغل فيه عبادة «أوزير» أنه يصبح فيه ملك الموتى وإله العالم السفلي والغرب، أو بعبارة أخرى «إله الجبانات». وقد كان الملك الذي يموت يحنط على غرار «أوزير»، وتتبع معه كل الشعائر والمراسيم التي أقيمت له، وقد كان ذلك وقفًا على الملك في بادئ الأمر. وفيما بعد أصبح رجال الحاشية يتمتعون بهذه الميزة فيؤحد كل منهم «بأوزير»، ولكن أتباع الإله «رع» كانوا يعتبرون «أوزير» إلهًا حقيرًا، بل خطرًا، كما يدل على ذلك فقرات عدة من «متون الأهرام».

ولما كان الملك المتوفى لا بد أن ينتقل من عالم الجبانة إلى عالم السماء — وتلك ظاهرة تصفها لنا «متون الأهرام» — كان يقوم برحلته هذه طبعًا تحت حماية الإله «أوزير» الذي كان في الوقت نفسه يعتبر حامي الملك في الجنة السماوية بالقرب من «رع»، وبهذا انتزع «أوزير» من بين الآلهة الأرضية، وأصبح في عداد الآلهة السماوية.

[1] Edward Meyer, A. Z. X L I. p. 97 ff.

وكانت نتيجة ذلك أن أدخل «أوزير» في مذهب عبادة الشمس؛ فصار بهذا مؤحدًا مع «رع»، وأصبح من الصعب فصل الواحد منهما عن الآخر؛ إذ كان «أوزير» يعتبر «روح» «رع» وجسمه نفسه، كما سنرى بعد.

وعلى أثر سقوط الدولة المنفية وقيام الثورة الاجتماعية والدينية التي أدت إلى قلب نظام الحكم، أخذ كل متوفى يؤحد بالإله «أوزير». فكان في بادئ الأمر الملك وحده هو الذي يؤحد «بأوزير» بعد موته كما ذكرنا، ولكن عقب هذا الانقلاب اضطر الملك إلى منح هذا الامتياز أولًا حاشيته، ثم كبار الموظفين، وأخيرًا أصبح إرثًا مشاعًا يتمتع به كل فرد في الدولة المصرية.

ومنذ ذلك العهد أصبحت الشعائر الدينية التي كانت وقفًا على الملك أولًا ثم حاشيته ثانيًا مشاعةً بين أفراد الشعب، فكان في مقدور كل فرد في أوائل الدولة الوسطى أن يصبح «أوزيرًا» ويستعمل في قبره المتون والرسوم التي كانت من قبل لا تستعمل إلا في الأهرام الملكية، وكذلك الصيغة الدينية (قربان ملكي) التي كان لا يتمتع باستعمالها إلا عظماء رجال البلاط الملكي قد أصبح ينقشها كل من هب ودبَّ من عامة الشعب على لوحاتهم الجنازية. وأخيرًا يمكننا أن نقرر هنا أن المساواة التامة، أو بعبارة أخرى الديمقراطية الصحيحة، بين كل أفراد الشعب في الديانة المصرية، كانت منذ بداية الأسرة الثانية عشرة هي المثل الأعلى الذي يتطلع إلى مثله الآن في حكومة البشر.

وهذا التوسع في عبادة «أوزير» وانتشار شعائره هو الذي يفسر لنا نمو الأدب الديني الذي بدأ يظهر في خلال الدولة الوسطى، وجعل الأناشيد الدينية لا يقتصر في إنشادها على الكهنة، بل قد تخطاهم إلى أتباع الإله الورعين، وإلى أفراد عامة الشعب، وسنورد هنا بعض الأناشيد الخاصة بالإله «أوزير» بعد أن نتكلم عن عبادة إله آخر كانت له علاقة وثيقة بالإله «أوزير»، وهو الإله «مين» الذي أصبح يلعب الدور الذي لعبه من قبل «حور» بن «أوزير». وقد وجدنا له أناشيد يرجع عهدها بالتحقيق إلى الدولة الوسطى.

(١) الإله «مين»

إن أقدم مصدر وصل إلينا عن الإله «مين» هو ثلاثة التماثيل التي عثر عليها «بتري» و«كوبيل» عام ١٨٩٤ في مدينة «قفط» في مكان معبد يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الأولى على وجه التقريب (راجع Petrie, Koptos p. 7 ff).

وهذه التماثيل الثلاثة وجدت بدون رءوس وأجسامها آدمية، وتدل الظواهر على أنها كانت ممثلة بالوضع الخاص بهذا الملك، فكان لكل منها عضو تذكير منتصب. وقد وجد

على أجسامها بعض أشكال حيوانات وسمك وعلامة دالة على اسم الإله «مين» بالمصرية القديمة.

ويشترك الإله «مين» مع الإله «أوزير» في أن كلًّا منهما كان يصوَّر في صورة إنسان، وكذلك يرجع عهد كل منهما إلى أقدم عهود الاتحاد الثاني.

وقد كانت عبادة «مين» في فجر التاريخ في بلدة قفط، وقد بقيت أهم مكان لعبادته طوال عهود التاريخ المصري.

وفي خلال العهد الذي يلي ذلك — أي في الدولة القديمة — نجد أن الإله «مين» قد ظهر في صورة صقر متوج بريشتين عاليتين مربوطتين بشريط متدلٍّ خلف رأسه واسمه «منو».

والظاهر أن عبادته كانت منتشرة خارج قفط؛ وذلك لأنه يحمل لقب «الذي يسيطر على القصرين» أو على «إقليمي الجنوب والشمال»، وفي مراسيم قفط نجد أن عبادته كانت في مقاطعة الصقرين وعاصمتها «قفط»، وقد بقيت مكان عبادته المختار خلال الدولة القديمة.

وفي خلال الدولة الوسطى انتشرت عبادة «مين» في صورته البشرية بخاصته التي انفرد بها، وقد كان يعبد في العرابة زيادة على موطنه الأصلي «قفط». ومن جهة أخرى كان يسكن في المقاطعة التاسعة في عاصمتها «إبو»؛[٢] أي أخميم الحالية.

ونشاهد كذلك أن عبادته كانت تمتد شمالي قفط نحو مقاطعة «طيبة»؛ وذلك لأن اندماج الإله «مين» مع الإله «آمون» الذي يشبهه في التسمية كان أمرًا واقعًا منذ الدولة الوسطى، ولكن من جهة أخرى قد وجدنا أن سطوة الإله «مين» قد ظهرت تمامًا في الأقاليم الواقعة خلف «قفط»؛ إذ قد عثر على لوحة تذكارية في «وادي حمامات» نقرأ فيها أن «منتحتب» الثاني — أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة — قد أقام لوحة في هذا الطريق التجاري الهام الذي كان يطرق بكثرة في كل العصور رابطًا ميناء «القصير» بمدينة «قفط»، وكان يستخدم لمرور التجارات التي كانت تجلب من «بُنت» وبلاد العرب، وبخاصة الروائح العطرية والأفاويه.

والواقع أن «مين» كان ينعت «بسيد الجبال والصحاري»، وكذلك كان ينعت «بالرئيس الأعلى للترجلديت»؛ أي سكان الصحراء الغربية، وتؤكد لنا بعض المصادر أن «الجبال هي

[٢] وقد بقي الاسم القديم في قرية «كفر أبو» القريب من أخميم نفسها.

إقليم والدمين». والواقع أننا نشاهد في هذا الإقليم جبلًا مقدسًا أزليًّا وهو الأول في أهميته في «تا آخو» (أي قصر الإله)، وهذا الإله يقال إنه «منح حياة حور»، وهذا القصر هو «عش مقدس ينعم فيه هذا الإله الصقر»؛ ومن ثم نصل إلى حقيقة ثانية؛ وذلك أنه منذ بداية الدولة الوسطى أو قبلها نجد الإله «مين» تحت سيادة «أوزير» الذي كان يعتبر المتسلط العالمي في ذلك الوقت، ومن هذا نستنتج أن «مين» قد أصبح صورة من ابن «أوزير»؛ أي «حور» المنتصر الذي خرج من «خميس» (كوم الخبيزة الحالي في شمالي الدلتا)، ومنذ ذلك العهد سنجد أن «مين» كان يسمى «مين-حور نخت» أو «مين حور بن إزيس»، وبخاصة في «العرابة»؛ عاصمة عبادة «أوزير» في هذا العهد.

ورغم الاندماج المحكم الذي نشاهده بين «حور» و«مين»، فإنا نجد الأخير كان لا يزال محافظًا على شخصيته الحقيقية في الصور؛ أي إنه كان يرسم بصورة إنسان له عضو تذكير منتصب، وتاجه مؤلف من ريشتين، وهذا ما لا نجده في صور «حور». وكذلك نجد في لوحات أخرى من «وادي حمامات» يرجع عهدها إلى «أمنمحات» أنه كان يلقب «مين سيد الصحراء» دون أن ينعت «بحور نخت»؛ أي حور المنتصر.[٣]

ومنذ بداية الأسرة الثامنة عشرة، وفي خلال الدولة الحديثة كلها يلاحظ أن أهم حادث في عبادة «مين» هو توغل عبادته توغلًا عميقًا ثابتًا في طيبة، وأنه كان يؤحَّد مع الإله «آمون» وبالعكس. فكان إله قفط يمثل باسم «آمون»، وكان يسمى كذلك «مين-آمون». وفي الصور التي على معبد الأقصر يلاحظ أن المتن يتكلم عن الإله بأنه «آمون»، ولكن الصور تظهره لنا في صورة «مين» بخاصيته التي تميزه (عضو التذكير المنتصب)، وهذا يفسر لنا ما وجدناه منقوشًا على تمثال في المتحف البريطاني يُعزَى إلى بداية الدولة الحديثة، أو قبل ذلك بقليل؛ وهو أنشودة لا نشك في أنها رواية أخرى لأنشودة «آمون-رع» المحفوظة على بردية بولاق، وفي الجزء الذي بقي لنا من هذه الأنشودة المهشمة نجد أن الإله الذي ذكر عليها هو «مين-آمون» وحسب، وسنتكلم عن نتائج هذا الكشف فيما بعد.

فمما سبق نرى أن عبادة كل من «أوزير» و«مين» كانت منتشرة في خلال الدولة الوسطى ثم الدولة الحديثة، غير أن الإله «مين» في عهد الدولة الحديثة قد حل محله «آمون» الذي كانت مدينته «طيبة» التي أصبحت عاصمة الملك، فارتفع معها إلى مرتبة «ملك الآلهة» كما كانت عاصمته سيدة بلاد العالم في ذلك الوقت.

[٣] راجع كتاب Les Hymnes Religieux du Moyen Empire, p. 1–5 & 135–390.

هذا فضلًا عن أنه قد أخذ لنفسه كل الصفات والنعوت التي كان يتحلى بها الآلهة الآخرون؛ ولذلك سنجد فيما بعد أن معظم الأناشيد الدينية كانت تؤلف له للإشادة بذكره، وقد أضاف الكهنة لاسمه لفظة «رع»، وهو إله الشمس الذي كان يعتبر في كل العصور أعظم الآلهة المصرية. وبذلك أصبح «آمون-رع» هو الإله الذي يسيطر على كل العالم من مدينته طيبة، كما كان يسيطر الفرعون على كل الأقطار التي فتحها بحد السيف من هذه العاصمة.

وقد بقي «آمون-رع» المهيمن على كل الأصقاع التي فتحها الفرعون طوال عهد الدولة الحديثة، اللهم إلا فترة واحدة اختفى فيها اسمه وامَّحت ديانته؛ وذلك حينما قام «إخناتون» (أمنحوتب الرابع) ونشر مذهبه الجديد القائل بوحدانية الله، وأكبر مظهر لهذه الوحدانية هو قرص الشمس «آتون»، أو بعبارة أخرى هو الرجوع إلى عبادة الإله «رع» ولكن في صورة مهذبة. على أن انتشار عبادة «آمون» في عهد الدولة الحديثة لا يعني أن الآلهة الأخرى كان لا يشاد باسمها، بل سنجد فيما يأتي أنها كانت تعبد وتقدَّس وتؤلَّف لها الأناشيد، وبخاصة للإله «تحوت» و«رع» وغيرهما من الآلهة، وسنورد هنا طائفة من هذه الأناشيد مبتدئين أولًا بأناشيد الدولة الوسطى، ثم أناشيد الدولة الحديثة، مؤثرين عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى ظهور مذهب «إخناتون» الجديد.

(٢) أناشيد «أوزير»

كان «أوزير» — الذي كانت عبادته منتشرة انتشارًا عظيمًا أكثر من عبادة أي إله آخر، كما ذكرنا في الأصل — إلهَ الزرع الذي يموت ولكنه يحيا ثانية بالفيضان، ويعتبر في عامة أمره أنه آدمي، وقد ظهر كثيرًا في الأناشيد، وكان أبوه «جب» إله الأرض وأمه «نوت» إلهة السماء. وقد خلف والده ملكًا على مصر، وكان حكمه متوجًا بالفلاح ومظفرًا في الحرب، وقد قتله غيلة أخوه «ست» وألقى بجثته في الماء.

فبحثت عنها أخته وزوجه «إزيس» مدة طويلة، وبعد أن عثرت عليها في النهاية وأحضرتها إلى الأرض روحت عليها؛ فعاد «أوزير» إلى الحياة نوعًا ما. ثم اجتمعت به؛ فحملت منه ولدًا هو «حور»، الذي ربته في مكان خفي في مناقع الدلتا؛ ليفلت من اضطهاد

«ست» الذي طعن في شرعية ولادته ... ولكن الآلهة حكموا في صالحه، وأقروا له بملك والده. ومنذ ذلك الحين حكم «أوزير» في العالم السفلي بوصفه ملك الأموات، وكانت له عدة أضرحة على الأرض أهمها: «بوصير» في الدلتا، والعرابة المدفونة (البلينا) في الوجه القبلي.

(٢-١) أنشودة صغرى «لأوزير»[٤]

الحمد لك يا «أوزير» يا ابن «نوت»! يا رب القرنين، صاحب التاج «آتف» الرفيع. والذي أُعطي التاج والابتهاج أمام تاسوع الآلهة.

وهو الذي خلق «آتوم» خوفه في قلوب الناس، والآلهة المبجلين والأموات.

ومن أُعطي روحه في «منديس»،[٥] والخوف الذي يبعثه في «إهناس المدينة».

والذي أسندت إليه السيادة في «عين شمس»، وصاحب الصور العظيمة في «بوصير»، ورب الخوف في المكانين، والعظيم الفزع في «رستاو»،[٦] ورب الفزع في «إهناس المدينة»، والسيد القوي في «تاتننت» (منف).

والمحبوب كثيرًا على الأرض، وصاحب الذكرى الحسنة في القصر المقدس، والعظيم الطلعة في «العرابة».

ومن كان محقًّا أمام التاسوع قاطبة، والذي من أجله ذبحت الذبائح في القاعة العظمى التي في «حرور».[٧]

ومن يرتعد منه أصحاب القوى العظمى، ومن يقوم وقوفًا أمامه العظماء الذين على بسطهم، ومن بث الإله «شو» الخوف الذي يبعثه، ومن أوجدت الإلهة «تفنوت» قوته.

---

[٤] جمع المؤلف كل الأناشيد الخاصة بـ «أوزير» و«مين» ودرسها في كتابه: Les Hymnes Religieux du Moyen Empire, p. 5 ff.

[٥] كان «أوزير» يعبد في «منديس» (تل الربع الحالي) في صورة كبش يمثل روحه.

[٦] هي جبانة الإله «سوكار» في الجيزة، ويطلق الاسم عادة على الجبانة.

[٧] اسم عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من الوجه القبلي بالقرب من المنيا.

ومن يأتي إليه محرابا الوجه القبلي والبحري في خضوع؛ لعظم الخوف منه ولشدة بأسه.

هذا هو «أوزير» بن «نوت»، ملك الآلهة المسيطر في السماء، وحاكم الأحياء (الأموات).

ومَنْ آلافُ الناس يُثنُون عليه في «خرعحا» بابليون (وهي مصر عتيقة)، ومَن يهلِّل له في «عين شمس»، ورب أنصبة قطع اللحم المختارة في البيوتات العالية.[٨]

ومن ذبحت له الذبائح في «منف»، ومن أقيم له عيد اليوم السادس من الشهر وعيد اليوم السابع منه.

(٢-٢) أنشودة كبرى «لأوزير»

يرجع تاريخ هذه الأنشودة إلى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة، وهي تعتبر بحق أهم متن يكشف لنا عن نواحٍ عدة في أسطورة «أوزير».

حقًّا قد وجدنا مجموعة المذاهب الدينية العظيمة في «متون الأهرام» في الكتابات التي على توابيت الدولة الوسطى و«كتاب الموتى»، وفي «أوراق البردي» الخاصة بالشعائر الدينية، وكلها تحتوي على إشارات وتلميحات للإله أوزير وخرافته، غير أننا في كل هذه المتون الضخمة لم نجد عرضًا لقصة «أوزير» مثل الذي وصفه أمامنا كاتب هذه اللوحة.

ومع أنه لم يقص في بياناته الأدوار التي مرَّ بها هذا الإله، فإن العرض الذي بسطه أمامنا يجعلنا لأول مرة نفهم بعض الشيء قصة هذا الإله المحزنة. ولعل الاقتصاد في التعبير وحذف بعض الحوادث التي نلحظها في القصة التي رويت في هذه الأنشودة كان مقصودًا. وأعني أن الذي وصل إلينا فعلًا مدونًا كان في نظر الكهنة ما يجب أن يعرفه عامة الشعب عن مأساة هذا الإله الغامض. أما ما خفي فكان سرًّا موقوفًا على الكهنة. فإذا صح ذلك كان كتَّاب اليونان صادقين في قولهم إن المصريين كانوا يحتفظون بأسرارهم الدينية، وبخاصة مأساة الإله «أوزير».

[٨] اسم مكان له علاقة ببلدة عين شمس، والظاهر أنه مكان في مقاطعة عين شمس، وربما كان المكان الذي يقدم فيه القربان وتعمل الاحتفالات.

الأنشودة[٩]

الحمد لك يا أوزير! أنت يا رب الأبدية، وملك الآلهة! أنت يا صاحب الأسماء المتعددة، والسامي في مظاهره، وصاحب الصور الباطنة في المعابد.[١٠]

إنه هو صاحب الروح (الكا) النبيلة في بوصير والمؤن الغزيرة في «سخم»،[١١] رب الابتهالات في مقاطعة بوصير،[١٢] وصاحب الطعام الوفير في «هليوبوليس».[١٣]

والسيد الذي يذكره الناس في «قاعة العدالتين» ... والروح الخفية لرب «كررت»،[١٤] والرفيع في الجدار الأبيض،[١٥] وروح «رع» وجسمه نفسه.[١٦]

والذي يستريح في «أهناس المدينة»، والذي ارتفعت من أجله صيحات الفرح الجميلة في شجرة «نعرت» التي وجدت لترفع روحه.[١٧]

رب القصر العظيم في «الأشمونين»، والعظيم الروعة في «ساشحتب»،[١٨] رب الأبدية الذي يسكن في العرابة، ومن كرسيه بعيد في «تاجسر»،[١٩] ولكن اسمه مخلد في أفواه الناس،[٢٠] وهو الذخيرة والطعام على رأس التاسوع،[٢١] والروح الكاملة بين الأرواح (أي حاكم المتوفين).

---

[٩] على لوح قبر من الأسرة الثامنة عشرة، وهي الآن في باريس، وأخيرًا درس هذه اللوحة الأستاذ «موريه» (راجع B.I.F.O. Tome XXX. p. 725 ff).

[١٠] التمثيل الروائي لحوادث «أوزير».

[١١] (ليتوبوليس): أوسيم الحالية.

[١٢] المقاطعة التاسعة.

[١٣] أي إن الأعياد تقام له في كل مكان، وتقدم له القرابين.

[١٤] جبانة أسيوط.

[١٥] «منف».

[١٦] تركيب لاهوتي يقصد منه علاقة «أوزير» بآلهة أخرى.

[١٧] هذا البيت وما بعده يتحدثان عن أسطورة لا علم لنا بها.

[١٨] «شطب» الحالية.

[١٩] جبانة العرابة.

[٢٠] أي حكمها.

[٢١] أي إن الآلهة مدينون له بأودهم.

ومن منحه «نون» ماءه، ومن يصعد له نسيم الشمال حتى الجنوب؛ لأن السماء تخلق الهواء لأنفه لينشرح قلبه، والنباتات تنمو حسب رغبته، والحقول توجد له الطعام.[٢٢]

والقبة الزرقاء ونجومها تُصغي إليه، والأبواب العظيمة تفتح له. والناس تهلِّل فرحًا به في السماء الجنوبية، ويعبده الخلق في السماء الشمالية.[٢٣]

ومن النجوم الثابتة[٢٤] تحت سلطانه، والكواكب السيارة أماكن سكنه.

وقد رفعت إليه القرابين بأمر «جب»،[٢٥] وتاسوع الآلهة يعبدونه، ومن في العالم السفلي يقبلون الأرض بين يديه، ومن في الجبانة ينحنون إجلالًا له، والأجسام المحنطة تهلل فرحًا حينما يشاهدونه، ومن هم هنالك[٢٦] في خوف منه، والأرضان المتحدتان تقدمان له الثناء عند اقتراب جلالته؛ لأنه النبيل والمبجل على رأس المبجلين، وصاحب المرتبة الخالدة والحكم الثابت، الواحد القوي الحسن بين آلهة التاسوع، ذو الوجه الشفيق، الذي يحب من ينظر إليه، ومن يبث خوفه في كل الأراضي لأجل أن يذكروا اسمه[٢٧] على كل ما يقدمونه له. وهو السيد الذي يذكر في السماء وعلى الأرض، والذي ترفع له صيحات الفرح الكثيرة في عيد «واج»،[٢٨] ومن تبتهج به الأرضان معًا، وهو أعظم رئيس بين إخوانه، وأسن تاسوع الآلهة،[٢٩] وهو الذي أسَّس العدالة على كلا شاطئي النهر، ووضع الابن في مكان أبيه،[٣٠] الممدوح من والده «جب»، والمحبوب من أمه «نوت».

العظيم البأس عندما يقهر الخصم، والقوي الساعد عندما يذبح عدوه. وهو الذي يبث خوفه في أعدائه، والذي يصل إلى حدود من يدبرون له السوء، ثابت الجنان عندما يطأ العدوَّ بقدمه، وارث «جب» في ملك الأرضين؛ لأنه [جب] رأى فضائله ووثق فيه

---

[٢٢] أي طعام الحقول.

[٢٣] إشارة إلى قيامة «أوزير» وصعوده.

[٢٤] النجوم القطبية التي لا تغرب.

[٢٥] «جب» إله الأرض يمده بالطعام.

[٢٦] تعبير عادي عن الموتى.

[٢٧] ربما يشير إلى الأعمال التي تعزوها الأسطورة إليه.

[٢٨] عيد الخمر والحصاد.

[٢٩] لم يكن أسن تسعة الآلهة، بل هذا مبالغة شعرية.

[٣٠] كما يفعل ملك طيب.

ليقود الأرضين إلى الفَلَاح. ووضع هذه الأرض في يده، وكذلك ماءها، وهواءها، ونباتها، وماشيتها. وكل ما يطير، وكل ما يرفرف بجناحه، وديدانها، وحيوانها الضاري، قد صار إلى ابن «نوت»، والأرضان كانتا مرتاحتين لذلك.

والظاهر على عرش والده مثل «رع» حينما يشرق في الأفق؛ ليمنح من كان في الظلمة النور، ومن غمر بالنور الأرضين مثل الشمس عند انبثاق النهار.

تاجه يشق السماء ويؤاخي النجوم.[٣١] وهو قائد كل إله، والبارع في القيادة، والذي يثني عليه تاسوع الآلهة الأعظم ويحبه التاسوع الأصغر.

أخته المقدسة قد حمته، وهي التي أقصت العدو، ومنعت عنه أعمال الشر بالتعاويذ التي «نطق بها» فمها،[٣٢] وهي صاحبة اللسان الحاذق، والتي لا تخرج ألفاظها عبثًا، والماهرة في القيادة.

«إزيس» فاعلة الخير التي حمت أخاها، والتي بحثت عنه من غير ملل، والتي اخترقت هذه الأرض حزينة، ولم تذق طعم الراحة حتى عثرت عليه.

وهي التي أمدته بالظل بريشها، وبأجنحتها أوجدت الهواء. وهي التي صاحت عاليًا من الفرح، وجاءت بأخيها إلى الأرض.

وهي التي أنعشت ما كان هامدًا في الواحد صاحب القلب المتعب، والتي قد أخذت نطفته، وولدت له وارثًا. والتي أرضعت الطفل في عزلة في مكان لم يكن معروفًا «لأحد». وهي التي أحضرته إلى قاعة «جب» حينما اشتد ساعده.

وقد ابتهج التاسوع بذلك:

تعال تعال يا «حور» بن «أوزير».

يا ثابت القلب ويا منتصر!

يا ابن «إزيس» ووارث «أوزير»!

واجتمعت من أجله محكمة العدالة التي احتشد فيها التاسوع ورب العالمين نفسه وأرباب الحق، وهم الذين ولوا ظهورهم للباطل.

---

[٣١] كان تاجه عاليًا جدًّا.

[٣٢] تعاويذها السحرية.

وقد جلسوا في قاعة «جب»؛ ليعطوا المنصب الملكي صاحبه، والمملكة من يجب أن تُسلم إليه. وقد وجدوا أن كلمة «حور» كانت كلمة صدق فأعطوه وظيفة والده، فخرج وهو متوج بأمر «جب»، وتسلم سيادة شاطئ النهر، وبقي التاج على رأسه في أمان.

وقد أصبحت الأرض ملكًا له، والسماء والأرض تحت سلطانه، وسلم إليه أهل مصر[٣٣] سكان الوجه البحري، وسكان الوجه القبلي، وسكان «هليوبوليس»، وأهل الشمال،[٣٤] وما يحيط به قرص الشمس خاضع لقوانينه، وكذلك ريح الشمال والنهر والفيضان وشجرة الحياة، وكل النباتات، وإله الغلال «نبري» يعطي كل خضرة، والأرزاق «التي تنبتها» الأرض.

وهو الذي أحضر الرخاء ووضعه في كل الأراضي، وكل الناس سعداء وقلوبهم مبتهجة وأفئدتهم مسرورة، وكل القوم فرحون، وكل الناس يتعبدون لطيبته.

ما أحلى حبه عندنا! إن طيبته تحيط بالقلوب وحبه عظيم[٣٥] في كل الصدور.

فقد سلموا لابن «إزيس» عدوه ... وقضى على عسفه، والشر قد انصب على العواء، وسوء المصير قد حاق بمن كان يعمل للعسف، وإن ابن «إزيس» قد انتقم لوالده، وقد صار اسمه نبيلًا وساميًا. وقد أخذت القوة مكانها، واستقر الفلاح بفضل قوانينه، وصارت الطرق حرة والشوارع مفتوحة.[٣٦]

ما أكثر ارتياح الأرضين! فالشر قد اختفى والخبث قد ولَّى، والأرض أصبحت سعيدة تحت ربها، والحق ثبت لربه، ووُلِّي الظهر للباطن.

ليت قلبك يكون فرحًا يا «وننفر»![٣٧] فإن ابن «إزيس» قد تسلَّم تاجك، وقد أُعطي وظيفة والده في قاعة «جب». و«رع» يتكلم، و«تحوت» يكتب،[٣٨] والمحكمة تؤيد ذلك. وهذا ما أمر به والدك «جب» لك: القيادة،[٣٩] وقد عمل حسبما قاله.

---

[٣٣] «رخيت»: هم سكان الوجه البحري، و«بعيت»: هم سكان الوجه القبلي، و«حممت» سكان هليوبوليس.

[٣٤] أهل البحر الأبيض المتوسط.

[٣٥] كما يلي من أقوال الناس الذين فرحوا بتولية «حور».

[٣٦] ساد الأمن كل البلاد.

[٣٧] اسم لأوزير في عالم الآخرة.

[٣٨] كاتب الآلهة.

[٣٩] المعنى غامض.

(٣) أناشيد دينية[٤٠]

(٣-١) [إلى «مين-حور»]

إني أعبد «مين»، وأمتدح «حور» الرافع ساعده.

الثناء لك يا «مين» في طلعاته! أنت يا صاحب الريشتين الساميتين؛ يا ابن «أوزير»، ومَنْ وضعته إزيس المقدسة، العظيم في معبد «سنوت» (معبد في إخميم)، وصاحب السلطان في «إبو» (إخميم)، أنت يا قفطي! يا «حور» الشجاع، يا رب القوة الذي يفرض الصمت على الأقوياء وملك كل الآلهة! الكثير العطور حينما ينزل من بلاد «ماتوي» القوي في «نوبيا» والونتني (إقليم بالقرب من بلاد «تنت» بالقرب من بلاد «بنت»).

(٣-٢) أنشودة إلى «مين-آمون»[٤١]

(وهي رواية أخرى من أنشودة «آمون-رع» العظمى).

هذه الأنشودة وجدت منقوشة على قاعدة تمثال عثر عليه في الدير البحري، وقد برهنت في كتابي «الأناشيد الدينية في عهد الدولة الوسطى» على أنها رواية قديمة لأنشودة «آمون-رع» العظمى المكتوبة على بردية بولاق. ويرجع عهدها إلى عصر الأسرة السابعة عشرة أو باكورة الدولة الحديثة. وبداية أنشودتنا تقابل نهاية اللوحة الأولى من ورقة بولاق.

وقد نجد بعض الاختلاف في الرواية في كل من الأنشودتين، غير أن وجه التشابه بينهما يكاد يكون تامًّا، وبخاصة في الكلمات القليلة التي بقيت لنا من رواية متن المتحف البريطاني، فنجد أن الجملة الأخيرة تبين لنا السبب في إنشاء هذه الأناشيد: وهو أن المدائح التي توجه للإله من عابديه تجعله يستجيب دعاءهم إذا دعوا عند الحاجة الماسة.

وفي هذه الجملة الأخيرة من الأنشودتين نجد تعابير قد ظهرت في الأناشيد التي ألفها «إخناتون» لربه «آتون» في تل العمارنة: «آتوم خالق الإنسانية والذي يميز أخلاقهم، وبارئ الحياة، والذي فصل الألوان الواحد عن الآخر.»

---

[٤٠] راجع: Les Hymnes Religieux du Moyen Empire, p. 140 ff.

[٤١] راجع: Les Hymnes Religieux du Moyen Empire, p. 157 ff. Erman, The Literature of the Ancrint Egyptians, p. 282 ff. & Urkunden Zur Religion des Alten Agypten, pp. 4.

ففي هذه العبارات نجد ما يقابلها في أنشودة «إخناتون»، ويعتبرها العلماء تجديدًا لم يعرف قبل عهد هذا الملك الزائغ. فإذا كانت أنشودة «مين آمون» التي عثرنا عليها، وهي كما قلنا رواية أخرى لأنشودة «آمون» العظمى، ترجع إلى عهد الأسرة السابعة عشرة، فإن فكرة إدخال «إخناتون» التوحيد العالمي لم تكن وليدة فكره هو، بل كانت موجودة من قبله، غير أنه وضعها في صورة بارزة جلية.

وقد تكلم الأستاذ «إرمان» ببعض التفصيل على أنشودة «آمون رع» بما يتفق مع ما قررناه هنا؛ إذ قال: «إن قطعًا فردية في هذه الأنشودة تذكرنا حقيقة بالأناشيد التي نشأت في هذا العصر، وبخاصة أنشودة الشمس التي ألفها «إخناتون» بما تعبر عنه من التمتع بالطبيعة وحرارة الشعور الإنساني. على أنه ليست هناك حجة قائمة ضد هذه الفكرة؛ لأن أنشودتنا قد ألفت باللغة القديمة، وكانت لا تزال لغة الأدب في عصر الأسرة الثامنة عشرة، وهو العصر الذي كتبت فيه ورقة البردي التي نحن بصددها الآن. غير أن الموضوع ليس من السهولة التي نتصورها؛ إذ الواقع أن الأنشودة على العكس من ذلك مكونة من مادة قديمة، يدل على ذلك ألقاب الإله وصفاته المذكورة هنا بالتطويل؛ وما ذلك إلا مظهر واضح للطريقة القديمة العقيمة التي كان يكتب بها المديح للآلهة.

على أن كل أنواع المميزات الأخرى التي تظهر بنفس الألفاظ تقريبًا في الأناشيد الدينية القديمة توجد كذلك في أنشودتنا، فإذا قابلت مثلًا أناشيد الشمس وأنشودة «مين حور» ظهر لك أن الأناشيد لهذين الإلهين — وهما اللذان يكوِّنان معًا إلهًا واحدًا هو «آمون رع» — كأنها قد مزجت ببعضها ثم أضيف إليها بعض أشياء حديثة؛ لتتفق مع ذوق العصر، والطريقة التي ألفت بها الأنشودة قد جعلتها غير مرتبة بالمرة في إنشائها. وقد نبعد كثيرًا عن موضوعنا إذا تكلمنا بإسهاب عن التفاصيل الخاصة بالعبادة التي وردت بكثرة في هذه الأنشودة. وزيادة على ذلك فإن موضوع التيجان والألقاب الخاصة بالإله أمر لا يهمنا قط؛ إذ لسنا بكهنة مصريين. وعلى أية حال لا بد لي من الكلام باختصار عن هذا الإله المركب.

لم يكن «آمون» — إله طيبة — في الأصل إلا صورة أخرى من الإله «مين» الذي كان يعبد في بلدة «قفط» التي لا تبعد عن «طيبة» كثيرًا، وهو كغيره من الآلهة قد يوحد مع إله الشمس؛ لذلك أصبح يدعى «آمون رع»، وفي خلال الأسرة الثامنة عشرة حينما أصبحت مدينته عاصمة الملك كان احترامه عظيمًا، وأصبح أعظم الآلهة شأنًا. وإذا نظرنا إلى الموضوع من وجهة أخرى رأينا أن اختلاط «آمون رع» قد سبب له ضررًا؛ لأنه لم يبق

له شيء كثير من طبيعته الأصلية. أما بصفته «مين» فإنه لا يزال رب الممالك الشرقية، وبوجه عام فإن «آمون رع» في الحقيقة ليس إلا إله الشمس القديم القوي «رع حور أختي» «آتوم» و«خبرو»، فكان مثله يسيح على الأقيانوس السماوي، وكذلك يحارب مثله الثعبان «أبوبي». وكل ما كان يملكه «رع» من محاريب وسفن وأسماء وتيجان أصبحت ملكًا له، وقد خلق مثل «رع» آلهة وأناسي. كما يزود كل حي. وقد أكَّد بنوع خاص على هذه النقطة الأخيرة وعلى شفقة الإله وطيبته في الأنشودة، كما هو الحال في القصائد الأخرى التي من عهد الدولة الحديثة» (انتهى كلام الأستاذ أرمان).[٤٢]

(٣-٣) متن الأنشودة

«آمون رع»

المقطوعة الأولى: الحمد لك يا «آمون رع» رب «الكرنك» الذي يسيطر على «طيبة»! ثور أمه، والأول في حقله.[٤٣]

واسع الخطا، والأول في مصر العليا، رب أرض «الماتوي»[٤٤] وأمير «بنت».

أكبر الأجسام السماوية، وأسن من في الأرض، رب الكائنات، الذي يسكن في كل شيء.

والوحيد في طبيعته ... بين الآلهة، وثور تسعة الآلهة الطيب،[٤٥] رئيس كل الآلهة.

رب الصدق، ووالد الآلهة، الذي خلق بني الإنسان، وسوَّى الحيوان.

رب كل الكائنات، الذي يخلق شجرة الفاكهة، والذي من عينه خرجت الأعشاب التي تزود الماشية.

وهو الصورة الجميلة التي سوَّاها «بتاح»،[٤٦] والشاب الجميل المحبوب الذي تُثني عليه الآلهة.

---

[٤٢] راجع: Erman, The Literature of the Ancient Egyptians p. 238.

[٤٣] الشمس زوج إلهة السماء، وفي الوقت نفسه ابنها بوصفه شمس اليوم التالي، وهو كثور يسيطر على الحقل حيث يوجد المرعى، وعلى ذلك فهو يسيطر كذلك على السماء كأكبر جسم فيها.

[٤٤] «الماتوي»: قوم من بلاد النوبة، أما «بنت» فهي بلد الروائح العطرية.

[٤٥] أي الزعيم، وبطل الآلهة الكبيرة.

[٤٦] «بتاح» إله الحرف، قد منح «آمون» صورته؛ ولذلك يسمى «بتاح جميل الوجه».

وهو الذي خلق من (هم أسفل ومن هم أعلى).[٤٧]

والذي يضيء الأرضين، وهو الذي يخترق القبة الزرقاء في سلام، ملك الوجه القبلي والبحري، «رع» المنتصر.[٤٨]

رئيس رؤساء الأرضين، عظيم القوة، الرئيس الذي يبعث على الاحترام، والرئيس الذي برأ الأرض قاطبة.

والذي يحسب الخطط أكثر من أي إله آخر، ومن يبتهج الآلهة بجماله، وهو الذي يقدَّم له الثناء في «البيت العظيم»، والذي ظهر في «بيت النار»[٤٩] (أو التقديس).

ومن يحب الآلهة شذاه حينما يأتي من بلاد «بنت»، الأمير العظيم الشذي، حينما ينزل من بلاد «ماتو»[٥٠] الحسن الوجه حينما يأتي من أرض الإله (بلاد بنت).

ومن يسجد عند قدميه الآلهة حينما يعرفون أن جلالته هو سيدهم، وهو رب الخوف، العظيم الإرادة، القوي الطلعة، النضر القرابين، وخالق الطعام عندما تهلل لك الناس.

يا خالق الآلهة، ورافع السموات، وباسط الأرض.

المقطوعة الثانية: أنت يا من استيقظ معًا! يا «مين آمون»، يا رب الأزلية وخالق الأبدية! ورب المديح الذي يسيطر على تاسوع الآلهة.

صاحب الذيل المستعار،[٥١] الحسن الوجه، رب التاج «وررت» (أي العظيم)، طويل الريشتين، ومن له شريط جميل وتاج أبيض عالٍ، ومن على جبينه الصل «محنت» وثعبانا «بوتو»، ومن شعره ذكي العطر، ومن يجعل التاج المزدوج، ولباس الرأس،

---

[٤٧] أي الرجال والنجوم.

[٤٨] تنصرف الإشارة هنا إلى الملك الراحل بوصفه إلى الشمس «رع»، يغيب في الغرب ويحيا ثانية في الشرق.

[٤٩] «البيت العظيم»: اسم محراب يرجع تاريخه إلى عصر ما قبل التاريخ خاص بالوجه القبلي، ومكانه «هيراكنيوليس» (الكاب الحالية). أما «بيت النار» فهو كذلك اسم محراب الوجه البحري، ومكانه «بوتو»؛ أي «أبطو» الحالية القريبة من «دسوق». ويحتمل أن هذه الجملة تشير إلى ملك، وقد استولى على البلدين بعد أن انتصر على أعدائه راجع (Les Hymnes, Religieux Du Moyen Empire p. 166).

[٥٠] إن الإله «مين» الذي يقع محرابه في «قفط» التي تخرج منها الطرق المؤدية إلى أصقاع الصحراء الشرقية، كان يعتبر حامي هذه الطرق؛ فكان هو الذي يجلب العطور.

[٥١] الذي يشاهد مدلًّى من حزام الملك وما يليه يصف تاج الإله مزينًا بالقرون والريش والتيجان والثعابين.

والتاج الأزرق قوية، الحسن الوجه الذي يتسلم التاج «آتف»، ومن يحبه تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحري، رب التاج المزدوج الذي يتسلَّم الصولجان «آمس». رب جعبة الوثائق ومالك السوط «نخخ».

الأمير الجميل الذي يظهر بالتاج الأبيض، رب الأشعة، خالق النور، الذي يقدم له الآلهة الثناء، والذي يمد يده (أشعة الشمس) لمن يحبه، ومن يحرق أعداءه بالنار، ومن عينُه[٥٢] تقهر الثائرين، وترشق حربتها في من ابتلع المحيط السماوي، وتجعل الثعبان (نيك)[٥٣] يلفظ ما ابتلعه.

الحمد لك يا «رع»! يا رب إلهة الصدق (ماعت) يا من مقصورته خفية، يا رب الآلهة.

يا أيها الإله «خبر»[٥٤] في سفينته، والذي يلفظ الكلام، وبه يخلق الإله، أنت يا «آتوم» خالق الإنسانية ومميز أخلاقهم، وبارئ الحياة، والذي فصل الألوان الواحد عن الآخر.[٥٥]

وسامع تضرعات من في السجن، الشفيق القلب عندما يناديه إنسان.

ومن ينجي الخائف من الظالم، والقاضي بين التعس والقوي.

رب العظمة، ومن فمه السلطة، ومن يأتي النيل الحلو حبًّا فيه، والمحبوب كثيرًا، وعندما يأتي تحيا الناس.

هو الذي يجعل كل العيون تفتح ... وكرمه يخلق النور. الآلهة يبتهجون بجماله وقلوبهم تحيا حينما يشاهدونه.

المقطوعة الثالثة: إيه يا «رع» المبجل في الكرنك، ومن يظهر عظيمًا في بيت «البِنْبِن»! يا صاحب «عين شمس»، يا رب اليوم التاسع من الشهر، ومن يحتفل الناس إكرامًا له باليوم السادس واليوم السابع «من الشهر».

---

[٥٢] عين الشمس كأنها إلهة الحرب.

[٥٣] ثعبان (نيك) صورة من الثعبان «أبوبي» الذي يشرب المحيط السماوي؛ حتى لا تستطيع سفينة الشمس أن تسبح عليه.

[٥٤] «خبر» هو الشمس في الصباح.

[٥٥] هي الفكرة التي تكررت بوضوح في نشيد العمارنة، حتى البرابرة هم أبناء الإله الذي يعولهم.

أيها الملك، رب كل الآلهة، والصقر في وسط الأفق، سيِّد بني الإنسان ... اسمه مخفي عن أولاده. باسمه آمون.[٥٦]

الحمد لك، يا حسن الحظ ... يا رب السرور القوي في طلعته، رب التاج، السامي الريش، ذا الإكليل الجميل، والتاج الأبيض الطويل.

الآلهة يعشقون التأمل فيك، حينما يكون التاج المزدوج على جبهتك.

حبك منتشر في كل الأرضين، وأشعتك تضيء في العيون.

إنها نفحة للإنسانية عندما تشرق، والوحوش تتباطأ حينما تضيء.[٥٧]

إنك محبوب في السماء الجنوبية، ولطيف في السماء الشمالية،[٥٨] جمالك يأسر القلوب، وحبك يجعل الأذرع متباطئة، وشكلك الجميل يجعل الأيدي ضعيفة، والقلب ينسى حينما ينظر الإنسان إليك.

إنك أنت الواحد الأحد الذي خلق كل الكائنات، وإنك الواحد الأحد الذي صنع كل ما يوجد. الناس خلقوا (خرجوا) من عينه، ومن فمه أتت الآلهة إلى الوجود.[٥٩]

بارئ الكلأ للماشية، وشجر الفاكهة للإنسان. خالق ما يعيش عليه السمك في النهر والطيور في القبة الزرقاء، مانح النفس من في البيضة ومغذي ابن الدودة.

صانع ما يحيا به النمل، والدود والذباب أيضًا. صانع ما تحتاج إليه الفيران في أجحارها، ومغذي الطيور على كل شجرة.

الحمد لك يا صانع كل هذا، الواحد الأحد فحسب، والممتاز بالأيدي العديدة. الذي يقضي الليل ساهرًا باحثًا عن أحسن الأشياء لماشيته[٦٠] حينما يكون كل الناس نيامًا.

يا «آمون» الذي يسكن في جميع الأشياء! يا «أتوم»! يا «حارأختي»!

احترام لك في كل ما يلفظون به، ابتهالًا لك لأنك تتعب نفسك معنا!

---

[٥٦] يقصد هنا تورية؛ لأن «آمون» يمكن أن تؤدي معنى «الواحد الحفي».

[٥٧] هنا وفي المقطوعة التي تليها يظهر أن التعبير «تصبح متباطئة» يقصد به معنًى حسنًا.

[٥٨] أي للآلهة التي تسكن هناك.

[٥٩] على حسب الأسطورة: خلقت الناس من دموع إله الشمس، والإلهتان «شو» و«تفنوت» من عطسته وتفلته.

[٦٠] هو راع، حتى في الليل يبحث عن مكان فيه أكل لماشيته التي لا بد أن تكون للإله لأجل أن يخلق تلك الأشياء الكثيرة للناس.

وخشوع لك لأنك خلقتنا، وكل وحش يقول (؟) الثناء عليك. وكل قفر ارتفاعه السماء وعرضه الأرض وعمقه البحر يقول: ابتهالًا بك.

الآلهة يخشعون طوعًا لجلالتك، ويتمدحون بقوة خالقهم، ويفرحون حينما يقترب منهم خالقهم. وهم يقولون لك: مرحبًا في سلام.

يا والد آباء كل الآلهة، يا من رفعت السموات، وبسطت الأرض، وصنعت كل كائن، وخالق كل ما يوجد.

يا أيها الملك، رئيس الآلهة! إنَّا نحترم قوتك لأنك خلقتنا. إننا نصيح فرحًا بك لأنك سويتنا. إنَّا نقدم لك الحمد لأنك أجهدت نفسك معنا.

الحمد لك يا خالق كل كائن، يا رب الصدق[٦١] ووالد الآلهة، بارئ الإنسان، وخالق الحيوان، رب الحب وموجد زاد وحوش الصحراء.

يا آمون! أيها الثور ذو المحيا الجميل، العزيز في الكرنك، وعظيم الطلعة في بيت «البنبن» المتوج ثانية في عين شمس! والذي قد حكم بين الاثنين[٦٢] في القاعة العظمى، ورئيس التاسوع الأعظم.

الواحد الأحد الذي لا غيره، المنقطع النظير، المتربع في «طيبة» و«الهليوبوليتي» وأول تاسوعه، والذي يعيش يوميًّا على الصدق.[٦٣]

يا ساكن الأفق ويا «حور» الشرق![٦٤] والصحراء تخلق له (تخرج له) الفضة والذهب واللازورد الحقيقي حبًّا فيه، وكذلك العطر والبخور المخلوطين من بلاد «ماتوي» والعطر الجديد لأنفك، يا حسن الوجه حينما يأتي من بلاد «الماتوي»!

يا «آمون رع» يا رب الكرنك المتربع في طيبة، الهليوبوليتي المترئس في حريمه (؟)!

المقطوعة الرابعة: أنت أيها الملك الأحد ... بين الآلهة، المتعددة أسماؤه التي لا يُعرف لها عدد، المشرق في الأفق الشرقي والغائب في الأفق الغربي، المولود مبكرًا كل صباح، القاهر أعداءه كل يوم.

---

[٦١] في جهة أخرى هذه هي صيغة بتاح إله الخلق.

[٦٢] «حور» و«ست».

[٦٣] وهذا هو مبدأ حياته.

[٦٤] ما يتبعه ينطبق عليه، راعي الصحراء الشرقية والبلاد التي تؤدي إليها طرقها.

الإله «تحوت» يرفع عينه[٦٥] ويبهجه بسموه، والآلهة تتمتع بجماله، والقردة «هتت» تهلل بمديحه.[٦٦]

رب سفينة وسفينة الصباح[٦٧] اللتين تسبحان في «نون» من أجلك في سلام.

بحارتك تفرح حينما يرون كيف هزم عدوك،[٦٨] وكيف قطعت أوصاله بالمدية، وقد التهمته النار وعذبت روحه أكثر من جسمه.

وهذا المارد قد قضى على ذهابه، والآلهة تصيح فرحًا، وبحارة «رع» مرتاحة «من أجل ذلك».

إن «عين شمس» منشرحة؛ لأن عدو «آتوم» هزم، و«طيبة» مسرورة، و«عين شمس» مبتهجة لذلك أيضًا؛ و«سيدة الحياة»[٦٩] مرحة؛ لأن عدو سيدها قد هزم. وآلهة «بابليون»[٧٠] في ابتهاج، وآلهة «ليتوبوليس» يقبلون الأرض حينما يرونه. وإنه قوي في سلطانه وأعظم الآلهة بطشًا، الواحد العادل (؟) رب طيبة. باسمك يا من خلقت العدل (أو الحق).

يا رب الزاد، وثور الأرزاق، باسمك هذا «ثور أمه».

خالق جميع الناس الكائنين وبارئ كل كائن، باسمك «آتون خبر» يا أيها الصقر العظيم الذي يجعل الجسم مبتهجًا![٧١] الحسن الوجه، والمُدخِل الفرح على الصدر، ذو الشكل اللطيف والريش السامي ... الصلان على جبهته.

ومن تعشش قلوب الناس حوله، والذي أذن لبني الإنسان أن يخرجوا منه، ومن يسرُّ الأرضين بطلعته.

الحمد لك يا «آمون رع» يا رب «الكرنك» الذي تحب مدينته إشراقه.

---

[٦٥] المعنى غامض.

[٦٦] القردة التي تحيي الشمس عند شروقها، وكذلك عند غروبها.

[٦٧] سفينتا إله الشمس. أما «نون» فهو المحيط السماوي.

[٦٨] الثعبان «أبوبي» عدو الشمس.

[٦٩] ثعبان الشمس.

[٧٠] مدينتان قريبتان من القاهرة الحديثة (مصر عتيقة وأوسيم).

[٧١] أشعته تدفئ الجسم.

(٤) أنشودة النيل

كان النيل يعدُّ إلهًا عند قدماء المصريين، غير أنه يختلف عن الآلهة الأخرى في أنه لم يكن له عبادة منظمة متبعة؛ ولذلك نجد أن هذه الأنشودة في «عبادة النيل» تختلف في تركيبها عن الأناشيد القديمة للآلهة الأخرى، ولا بد أنها أنشئت للاحتفال بالفيضان الذي كان يقام (حسبما جاء في الأنشودة) في وقت كانت فيه مدينة «طيبة» يحكمها حاكم لا فرعون؛ فمن المحتمل إذن أن ذلك قد حدث في أواخر عهد الهكسوس حيث كانت البلاد مقسمة بين الهكسوس والمصريين، ولم تتألَّف منها وحدة تدير شئون البلاد.

(٤-١) المتن

الحمد لك يا أيها النيل الذي ينبع من الأرض، والذي يأتي ليطعم مصر، صاحب الطبيعة الخفية، ظلام في رابعة النهار …

الذي يروي المراعي، والذي خلقه «رع» ليغذِّي كل الماشية.

والذي يعطي الشراب الأماكن المقفرة النائية عن الماء، ونداه هو الذي ينزل من السماء.[٧٢]

محبوب «جب» (إله الأرض)، ومدير إله الغلة، ومن يجعل كل مصانع «بتاح»[٧٣] ناجحة.

رب السمك، والذي يجعل طيور الماء تذهب إلى أعالي النهر[٧٤] دون أن يسقط طائر …

صانع الشعير، وخالق القمح؛ حتى يجعل المعابد تقيم الأعياد.

فإذا تباطأ[٧٥] كتمت الأنوف،[٧٦] وصار كل الناس في فاقة،

وقلت مؤن الآلهة، ومات آلاف الآلاف من الناس.

---

[٧٢] وبذا كان المطر الذي يروي الصحراء يعد كأنه من النيل.

[٧٣] بتاح الصانع — الذي يسوي كل شيء — لا يمكنه أن يعمل شيئًا بدون النيل.

[٧٤] إلى مصر العليا.

[٧٥] في حالة نقص الفيضان.

[٧٦] أي لن يستطيع الناس أن يتنفسوا ويعيشوا،

وإذا كان شحيحًا (؟) ذُعرت البلاد كلها، والصغار والكبار أصبحوا صفر الأيدي، والناس تتغير حينما يهجم سواه «خنوم».

وحينما يرتفع تبتهج البلاد، وكل فرد في حبور، وكل الفكوك تأخذ في الضحك، وكل سن تنكشف عنه «بالضحك».

وهو الذي يحضر المؤن، وهو الغني في الطعام، وخالق كل شيء حسن.

رب الاحترام، العطر الرائحة، المُهدئ للشر، خالق الكلأ للماشية، ومقدم الذبائح لكل إله ...[٧٧]

سواء أكان ذلك في العالم السفلي، أم على الأرض ...

وهو الذي يملأ المخازن، ويوسع الجرين الذي يعطي الفقراء الأرزاق.

وهو الذي يجعل الأشجار تنمو على حسب كل رغبة؛ وبذلك لا يحتاج الناس إلى شيء؛ فالسفن تُبْنَى بقوته؛ إذ لا نجارة بالحجر.[٧٨]

(يجوز أن ما يأتي بعد ذلك يشبه النيل بملك خفي لا يجبي ضرائب، ولكن أين هو؟ لا أحد يعرف ذلك. وكل ما هو مفهوم هو):

أناسيك الصغار، وأطفالك يصيحون فرحًا بك، والناس يحبونك ملكًا ثابت القوانين[٧٩] حينما يخرج أمام الوجه القبلي والوجه البحري، والناس يشربون الماء ...

ومن كان في حزن أصبح في ابتهاج، وكل قلب قد مُلِئَ غبطة. والإله «سبك» بن الإلهة «نيت»[٨٠] يضحك، والتاسوع الإلهي الذي فيك فاخر.[٨١]

أنت يا من تتقيَّأ معطيًا الحقول الشراب، وجاعلًا الناس أشداء. وهو الذي يجعل واحدًا غنيًّا ويحب الآخر. ولا محاباة عنده، ولم تخلق الحدود من أجله.

أنت أيها النور الآتي من الظلام! أنت يا سمن ماشيته! وإنه واحد قوي يخلق ... [كل الباقي مبهم].

---

[٧٧] وذلك لازدياد الماشية.

[٧٨] الخشب نادر في مصر، في حين أن الحجارة متوفرة.

[٧٩] دائمًا في الوقت نفسه.

[٨٠] «سبك» إله على شكل تمساح، وكان في الأصل إله ماء يفرح بالفيضان، وتوجد حتى الآن قرية في المنوفية تسمى سبك الضحاك كان يعبد فيها هذا الإله.

[٨١] المعنى غامض.

[بداية الفقرة التالية مبهمة جدًّا، ومن المحتمل أن الشعر يستمر في الكلام عن ذهاب إلى العمل في الحقل]:

والإنسان يرى الغنى كما يرى المفعم بالهموم (؟)، ويرى الإنسان كل فرد معه آلاته، ولا أحد قد ارتدى ملابسه (؟)،[٨٢] وأولاد الأشراف عارون عن الحلي ...

وهو الذي يثبت العدل، ومن يحبه الناس ... وإنه لكذب أن نقرنك بالبحر الذي لا يجلب غلة ... ولا طائر يحط في الصحراء.

[وبعد ذلك ذكر الذهب وسبائك الفضة التي لا تفيد شيئًا]؛ فالناس لا يأكلون اللازورد الحقيقي؛ فالشعير أحسن.

ويأخذ القوم في الضرب لك على العود، والناس يصفقون لك باليد.[٨٣] والشباب والأطفال يصيحون فرحًا بك، وتَفِدُ لك الوفود.[٨٤]

وهو الذي يأتي بالخيرات العظيمة، ويزين الأرض! وهو الذي يجعل السفينة تسعد أمام الناس (؟)، ومن يُنعش القلوب في الذين معهم طفل، ومن يشتهي أن يكون له فوج من كل أنواع الماشية.

وعندما تفيض في مدينة الملك،[٨٥] يبنهج الناس بقائمة مرضية،[٨٦] ويقول الصغير: «أريد أزهار البشنين.» ويقول الـ ... المدير: «كل أنواع الخيرات.» ويقول الأطفال: «وكل أنواع الأعشاب.» والأكل يسبب نسيانه،[٨٧] وكل الأشياء الحسنة مبعثرة في السكن ...

وعندما يفيض النيل يقرب لك القربان، وتُذبح لك الماشية، ويقام لك تقدمة عظيمة. وتسمن لك الطيور، وتصاد لك الغزلان في الصحراء، وتكافأ بكل طيب، وكذلك تقدم القرابين لكل إله آخر كما يقدم للنيل من بخور وثيران وماشية وطيور (على؟) النار. وقد جعل النيل كهفه (الذي يخرج منه) في «طيبة»، ولن يعرف اسمه بعد في العالم السفلي ...[٨٨]

---

[٨٢] تخلع الملابس بسبب العمل الشاق.

[٨٣] كانوا يصفقون باليد أثناء الغناء، وهذه العادة القديمة لا تزال متبعة الآن.

[٨٤] ليرحبوا بك.

[٨٥] عندما يصل الفيضان إلى المقر الملكي.

[٨٦] أي أشياء طيبة.

[٨٧] النيل.

[٨٨] من الآن فصاعدًا سيسكن في «طيبة»، حيث يحتفل به كثيرًا؛ وبذا لن يعرفه موطنه الأصلي.

وأنتم أيها الناس جميعًا، امدحوا تاسوع الآلهة، وقفوا مهابة للقوة التي أظهرها ابنه، رب العالمين؛[٨٩] فهو الذي يجعل شاطئي النهر أخضرين. إنك يانع أيها النيل، إنك يانع. وهو الذي جعل الإنسان يعيش على ماشيته، وجعل ماشيته تعيش على المراعي! إنك يانع، إنك يانع، إيه يا نيل، إنك يانع![٩٠]

(٥) إلى الشمس

كانت العادة في قبور الدولة الحديثة أن توضع مع الموتى أغنيتان، إما على شكل نقوش أو على بردي، فيما يسمى «كتاب الموتى»؛ وفي هاتين الأغنيتين كان يمتدح المتوفى الشمس عند الشروق وعند الغروب؛ لأن جل مناه أن يتمكن من رؤية الشمس في هاتين الحالتين. وليس هناك شك في أن هذه الأغاني المنوعة الصور قديمة، وإن لم يصل إلينا منها مثال إلى الآن من الدولة الوسطى.

(٥-١) إلى الشمس المشرقة[٩١]

الصلاة «لرع» حينما يشرق في أفق السماء الشرقي

الحمد لك يا من يشرق نوره،[٩٢] ويضيء الأرضين حينما يشرق

أنت يا من يمدح كل التاسوع ... أنت أيها الشاب الجميل المحبوب الذي عندما يشرق تحيا الناس، والإنسانية تفرح به، وأرواح عين شمس تصيح فرحًا له، وأرواح «بوتو» (إبطو الحالية) وهيراكنبوليس[٩٣] (الكاب الحالية) تمجده، والقردة تعبده.[٩٤]

---

[٨٩] ابن من؟ هل الملك هو موضوع المناقشة أو النيل.

[٩٠] قد تكلم الأستاذ مسبرو بإسهاب عن هذه الأنشودة في كتابه: Maspero Hymne au Nil, Cairo 1912 وكذلك يوجد بعض قطع من بردية لم تنشر بعد في متحف تورين، وهذا بالإضافة إلى ثلاثة من الاستراكا (راجع Peet The Literature of Egypt, Palestine etc. p. 77).

[٩١] Book of The Dead Ch XY A. 11.

[٩٢] المحيط السماوي.

[٩٣] كانت آلهة المدن القديمة — وبخاصة عواصم البلاد — تسمَّى أرواحًا، وكذلك الملوك المتوفون كانوا يسمون أرواحًا بعد موتهم.

[٩٤] كانت القردة تحيي الشمس عند شروقها وكذلك عند غروبها. وقد لوحظ ذلك في أواسط أفريقيا.

الحمد لك! هكذا يقول كل الحيوان الضاري بصوت واحد. صلك يهزم أعداءك،[٩٥] وأنت تبتهج في سفينتك. ونواتيك مرتاحون، وسفينة الصباح تحملك.[٩٦]

إنك تنعم يا رب الآلهة بمن خلقتهم، وهم يثنون عليك، و«نوت» إلهة السماء زرقاء على جانبك،[٩٧] ونون ... لك بأشعته.

امنحني نورًا حتى أشاهد جمالك.

(٥-٢) إلى الشمس الغاربة[٩٨]

الصلاة (لرع حور-أختي) حينما يغيب في أفق السماء الغربي.

الثناء لك يا «رع» حينما تغرب، يا «آتوم» ويا «حور أختي»! أيها الإله المقدس الذي جاء إلى الوجود بنفسه، الإله الأزلي الذي وجد في البدء.

الابتهاج لك يا بارئ الآلهة، الذي رفع السماء لتكون ممرًّا لعينيه،[٩٩] والذي سوَّى الأرض على قدر امتداد شعاعاته؛ حتى يرى كل إنسان الآخر.

إن سفينة الليل في سرور وسفينة الصباح تبتهج، والسفينتان تهللان عاليًا من فرط السرور حينما تسبحان بك في سلام على «نون» ونواتيك سعداء، وصلك قد هزم أعداءك، وقد قضيت على سير «إبوبي».[١٠٠]

أنت جميل يا «رع»، كل يوم وأمك «نوت» تضمك إليها.

أنت تغيب جميلًا وبقلب منشرح في أفق «مانون»،[١٠١] وسكان الغرب المبجلون ينعمون، وأنت تعطي النور هنالك للإله الأعظم «أوزير» حاكم الأبدية.

---

[٩٥] الغيوم التي تهدد الشمس، وكان القوم يتخيلونها في صورة ثعبان.

[٩٦] السفينة التي يستخدمها «رع» نهارًا للسياحة في سماء الدنيا. وله سفينة أخرى يسبح بها ليلًا في العالم السفلي.

[٩٧] آلهة تمثل كأنها محيط أزرق تسبح عليه الشمس.

[٩٨] Book of the Dead Ch XY, B. 11.

[٩٩] الشمس والقمر.

[١٠٠] الثعبان عدو «رع».

[١٠١] جبل خرافي في الغرب تغيب وراءه الشمس، كما أنها تشرق من جبل آخر يسمى «باخو».

وأصحاب الكهوف[١٠٢] في أجحارهم يرفعون أكفهم ويسبِّحون بحمدك، ويوجهون لك كل صلواتهم حينما تشرق عليهم، وأرباب العالم السفلي يصبحون سعداء حينما تفيض بالنور على الغرب، وأعينهم تفتح حينما يشاهدونك، وما أعظم ابتهاج قلوبهم حينما يرونك!

وإنك تسمع شكاوى من هم في أكفانهم؛ فتطرح عنهم آلامهم وتبعد عنهم الشرور، وتَهَب لأنوفهم نفس الحياة، ويمسكون بأمراس مقدمة سفينتك[١٠٣] إلى أفق «مانون».

أنت جميل يا «رع» كل يوم، وأمك «نوت» تضمك إليها.

(٦) [أنشودة إلى الإله تحوت][١٠٤]

عُثِرَ على هذه الأنشودة على لوح طالب كان يتمرَّن على كتابتها من الأسرة الثامنة عشرة، ولكن من المحتمل أنها ترجع في الأصل إلى عصر أقدم:

صلاة يومية إلى «تحوت»

أنتم يا أيها الآلهة الذين في السماء، وأنتم يا أيها الآلهة الذين على الأرض! «وأنتم يا أهل الجنوب، ويا أهل الشمال، ويا أهل الغرب!» ويا أهل الشرق؛ تعالوا وشاهدوا «تحوت» وكيف يضيء في تاجه الذي وضعه له الإلهان[١٠٥] في الأشمونين، حتى يقوم بإدارة بني البشر، ابتهجوا في قاعة «جب»[١٠٦] بما قام به. اعبدوه ومجدوه وقدموا له الثناء؛ فإنه رب الشفقة ومرشد الجموع قاطبة. ويتبع ذلك وَعْدٌ[١٠٧] بأن كل الآلهة والإلهات الذين يمدحونه سيَمُدُّ «تحوت»

---

[١٠٢] أصحاب الكهوف هم الأموات في العالم السفلي. فعندما تمر بهم في سيرها في هذا العالم المظلم يرفعون أكف الضراعة.

[١٠٣] أي في العالم السفلي، حيث لا توجد ريح تدفع قارب الشمس؛ ولذلك يقوم المتوفون بهذا العمل.

[١٠٤] راجع: British Museum 5656. Cf Turajeff. A. Z. XXX 111 p. 120.

[١٠٥] «حور» و«ست»، وهذا يشير إلى خرافة فسَّرناها عند الكلام على قصة «حور» و«ست» (راجع ص١٥٥).

[١٠٦] إله الأرض.

[١٠٧] قد تكون هذه التضرعات أحدث عهدًا.

مقاصيرهم وموائدهم في معابدهم. [ثم صلاة من الكاتب لكي يعطيه تحوت] بيتًا وأملاكًا ومئونة ويجعله محبوبًا وممدوحًا ... ولطيفًا، ومحميًّا بكل الناس وأن يهزم أعداءه.

(٧) ديانة إخناتون وأناشيدها

لما كانت ديانة إخناتون أول ديانة توحيد بالمعنى الصريح في عقائد العالم، وجدنا من الضروري أن نتتبع فكرة التوحيد في الدين المصري القديم؛ حتى يتمكن القارئ من أن يوازن هذه الفكرة بالأديان الأخرى ويستخلص لنفسه رأيًا. وسيرى أوجه شبه كثيرة بين العقيدة المصرية والأديان الأخرى.

تدل البحوث العميقة التي قام بها علماء الآثار على أن فكرة التوحيد كانت متغلغلة في التفكير الديني المصري منذ أقدم العهود. وهذا الإله الواحد كان يمثل عند المصريين في أعظم الأجرام السماوية حجمًا وأهمها نفعًا، وأعني بذلك إله الشمس «رع»، وقد كان يعبر عنه بصفة مبهمة منذ عهد بناة الأهرام بلقب «غير المحدود». وقد بدأت فكرة الوحدانية تأخذ شكلًا أوضح في نصائح «مريكارع» كما أوضحنا من قبل، وقد وصف بأنه الإله العادل، وأنه يحكم مصر وحسب. وقد شاهدنا أن ملوكًا قد اندمجوا في إله الشمس؛ لأنهم كانوا يدعون أولاده.

وقد كان حكم إله الشمس مقصورًا على مصر — فلم يكن لذلك إلهًا عالميًّا — إلى أن امتدت فتوحات مصر، وبخاصة على يد «تحتمس الثالث»، من الشلال الرابع إلى أعالي نهر دجلة والفرات وجزر البحر الأبيض المتوسط، فامتد تبعًا لذلك سلطان الإله الأعظم على هذه البقاع؛ لأن الدولة المصرية كانت مصبوغة بطابع ديني، وقد ذكر لنا هذا القائد العظيم نفسه ما يدل على امتداد سلطان إلهه على تلك الأملاك الشاسعة بقوله عنه: إنه يرى جميع العالم في كل ساعة، وما ذلك إلا لأن سيف هذا «الفرعون» قد مدَّ سلطان إلهه حتى نهاية حدود الدولة المصرية.

فمن ذلك يتضح أن «التوحيد» لم يكن إلا السلطان الإمبراطوري في التدين؛ ولهذا نجد أن أول تأثير من هذا النوع كان في عهد «تحتمس» الرابع؛ إذ قد عثرنا على لوحة أقامها هذا الملك تذكارًا لوالده، وفيها نشاهد قرصًا مجنحًا تتدلى منه ذراعا آدمي تحميان خرطوش الملك، أو بعبارة أخرى: الملك وأملاكه. ولا شك في أن هذا الرسم هو الأول من نوعه الذي يشير إلى عبادة آتون. هذا من جهة الرسوم، أما من جهة النقوش فلدينا لوحتان

من عهد «أمنحوتب» الثالث — أعظم أباطرة مصر في الدولة الحديثة — وهما ينسبان إلى «سوتي» و«حور» وقد كانا يعملان في طيبة في فن العمارة، ولا شك في أنهما كانا يعيشان في بلاط هذا الملك، وكانا على اتصال بابنه الذي سمي فيما بعد «إخناتون» (أمنحوتب الرابع). وقد تركا لنا أنشودة للشمس فوق لوحة موجودة الآن في المتحف البريطاني، وهي توضح لنا مدى ميل ذلك العصر والمجال الفسيح الذي كان ينظر به رجال الإمبراطورية إلى العالم مدركين مبلغ امتداد مملكة إله الشمس التي لا حد لها.

وهذه الأنشودة الشمسية تحتوي على أسطر خطيرة المعنى، وهي:

إنك صانع مصور لأعضائك بنفسك
ومصور دون أن تصور
منقطع القرين في صفاته مخترق الأبدية
مرشد آلاف الآلاف إلى السبل
وعندما تقلع في عرض السماء يشاهدك كل البشر
«رغم أن» سيرك خفي عن أنظارهم
إنك تجتاز سياحة مقدارها فراسخ
بل مئات الآلاف وآلاف الآلاف من المرات
وكل يوم تحتك (تحت سلطانك)
وحينما يأتي وقت غروبك
تصغي ساعات الليل إليك أيضًا
وعندما تجتازها لا يكون ذلك نهاية كدك
وكل الناس ينظرون بوساطتك
وأنت خالق الكل ومانحهم قوتهم
وأنت أم نافعة للآلهة والبشر
وأنت صانع مجرب …
وراعٍ شجاع يسوق ماشيته
وأنت ملجؤها ومانحها قوتها
… … …
وهو الذي يرى ما خلق
والسيد الأحد الذي يأخذ جميع من في الأراضي أسرى كل يوم

بصفته واحدًا يشاهد من يمشون فيها
ومضيء في السماء وكائن كالشمس
وهو يخلق الفصول والشهور
والحرارة عندما يريد
والبرد عندما يشاء
... ...
«فكل بلد في فرح عند بزوغه كل يوم لأجل أن يُسبح له.»

ومن الواضح في مثل تلك الأنشودة أن مدى إله الشمس الشاسع الممتد على كل البلاد وفوق كل الأرض قد لقي في النهاية اهتمامًا ... ولذلك اتخذت الخطوة الخطيرة لمد سلطان إله الشمس فوق كل الأراضي والشعوب.

ولم تصل إلينا وثيقة أقدم من هذه عن التفكير المصري، تضم تعبيرات صريحة عن ذلك التفكير، كما نجدها هنا في قوله: «السيد الأحد، الذي يأخذ جميع من في الأراضي أسرى كل يوم بصفته واحدًا يشاهد من يمشون عليها.»

ومن الأمور الهامة ملاحظة أن ذلك الاتجاه كان له علاقة مباشرة بالحركة الاجتماعية في العصر الإقطاعي المصري؛ إذ نجد أن النعوت التي كان ينعت بها إله الشمس نحو قوله «الراعي الشجاع الذي يسوق ماشيته، وهو ملجؤها ومانحها قوتها» ترجع بنا إلى الوراء إلى عهد النصائح التي وجهت إلى «مريكارع» فيما تقدم ذكره، وهي التي سميت فيها الناس «قطعان الإله»، وترجع بنا أيضًا إلى أفكار «إبور» فيما تقدم ذكره، حيث يقول: «إنه راعٍ لجميع الناس.» وكذلك مما يلفت النظر النعت الآخر وهو قوله: «أم نافعة للإله والبشر»؛ لأنه يحمل في ثناياه فكرة مشابهة تشعر بالاهتمام ببني البشر. على أن النواحي الإنسانية في سلطان «إله الشمس» التي اشترك في إيجادها بوجه خاص رجال الفكر في العهد الإقطاعي لم تختفِ بين العوامل السياسية القوية لذلك التسلط العالمي الجديد؛ إذ عندما خَلَف «أمنحوتب» الرابع والده «أمنحوتب» الثالث قام نزاع شديد بشأن العرش حوالي سنة ١٣٧٥ق.م، بين البيت المالك من جهة وبين نظام الكهانة الذي كان على رأسه الإله «آمون» من الجهة الأخرى.

وقد كان من الواضح أن ذلك الملك الشاب ينحاز إلى معاضدة حقوق «إله الشمس» القديم ضد ما كان يدعيه الإله «آمون» الذي أخذ رجال كهانته الطيِّبون الأقوياء يدعون

إلههم المحلي الخامل الذكر باسم مركَّب هو «آمون رع»؛ مدللين بذلك على أنه صار مُوحَّدًا مع إله الشمس «رع».

ولكنا نجد أن «أمنحوتب» الرابع في باكورة حكمه كان يناصر في حماسة فكرة جديدة للمذهب الشمسي، وربما كانت تلك الفكرة نتيجة أريد بها التوفيق بين المذهبين.

وقد حدث في الوقت الذي كان فيه موقف البلاد المصرية السياسي قديمًا في آسيا في غاية الحرج، أن كان الملك منهمكًا بكل حماسة في تعضيد التسلط العالمي لإله الشمس الذي أدركنا كنهه في أيام والده، فأعطى هذا الملك إله الشمس اسمًا جديدًا خلَّص به المذهب الجديد من التقليد المحفوف بخطر الشرك في اللاهوت الشمسي القديم، فصار إله الشمس يسمى آنئذٍ «آتون»، وهو اسم قديم يطلق على الشمس المجسمة.

ومن المحتمل أن هذه التسمية كانت لا تدل إلا على قرص الشمس فقط، وهذا الاسم الجديد ذكر مرتين في أنشودة رجال عمارة «أمنحوتب» الثالث التي اقتبسنا منها جزءًا فيما تقدم.

وكأن هذا الاسم قد لاقى بعض الإقبال في عهد ذلك الملك الذي سمى به أحد قواربه الملكية «آتون يسطع»، ولم يقتصر الحال على إعطاء إله الشمس اسمًا جديدًا، بل منحه ذلك الملك الشاب كذلك رمزًا جديدًا؛ فقد ذكرنا فيما مرَّ سابقًا أن أقدم رمز لإله الشمس كان هو الشكل الهرمي، كما كان يُرمز له كذلك بالصقر؛ لأن صورة ذلك الطائر كانت تدل عليه.

وعلى أية حال فإن هذين الرمزين كانا مفهومين بين سكان وادي النيل فقط، ولكن «أمنحوتب» الرابع كان في مخيلته وقتئذٍ مسرح أفسح وأوسع من القطر المصري؛ إذ إن الرمز الجديد قد مثَّل لنا الشمس بقرص تخرج منه أشعة متفرقة تنتشر فوق الأرض، كما كان كل شعاع من أشعته ينتهي بهيئة يد بشرية. وقد كان ذلك الرمز يدل على السيطرة القوية الخارجة من منبعها السماوي، وهي تضع أيديها تلك فوق العالم وعلى شئون البشر الأرضية.

وأشعة إله الشمس منذ عصر «متون الأهرام» قد شبِّهت بذراعين له. وظن الناس إذ ذاك أنها نائبة عنه في الأرض: «إن ذراعي أشعة الشمس قد رفعت مع الملك «وناس» صاعدة به إلى السموات.»

وقد كان ذلك الرمز سهل الفهم لكل البشر الذين يسيطر عليهم «الفرعون»، كما كان معناه واضحًا كل الوضوح، حتى إنه كان في استطاعة سكان نهر الفرات أو رجال بلاد النوبة على النيل السوداني أن يدركوا معناه على الفور. على أن ذلك الرمز لم تقتصر دلالته على السيطرة العالمية فحسب، بل صار خليقًا بأن يكون رمزًا عالميًّا إلى أقصى حد.

وكذلك قد بذلت بعض الجهود لتعريف تلك القوة الشمسية التي رمز لها بتلك الصورة، فقد كان اسم إله الشمس الكامل «حور أختي» (حور الأفق) فَرِحًا في الأفق.

باسمه الحرارة التي في «آتون».

وكان ذلك الاسم يوضع في طغراءين ملكيين مثل اسم الفرعون المزدوج (يعني اسمه ولقبه). وهذا الوضع مأخوذ من مشابهة سلطان «آتون» لسلطان الفرعون.

وذلك برهان آخر يدل بوضوح على التأثير الذي أوجدته الإمبراطورية المصرية بصفتها الحكومية في مذهب اللاهوت الشمسي. ولكن الاسم الموضوع في الطغراءين حدَّد لنا بوجه عام مقدار القوة الجثمانية الحقيقية للشمس في العالم المحس، ولم يكن في الوقت نفسه يمثل شخصية سياسية قط.

والكلمة المصرية القديمة التي ترجمتها في اسم ذلك الملك «حرارة»، قد يكون معناها أحيانًا «نورًا» أيضًا. ومن الواضح أن ما كان الملك يعبده هو القوة الدالة على وجود الشمس فوق الأرض، وكل الأدلة العديدة التي نجدها في أناشيد «آتون» منسجمة مع تلك النتيجة كما هي منسجمة في الأناشيد الآتية بُعَيْد هذا. وهي التي نرى فيها «آتون» نشطًا باسطًا أشعته على كل مكان فوق الأرض.

ومع أنه كان من الواضح أن ذلك المذهب الجديد قد استقى وحيه من مدينة «هليوبوليس»؛ حتى إن الملك الذي كان يحمل لقب الكاهن العظيم للإله «آتون» سمى نفسه «الرائي العظيم»، وهو نفس كاهن «هليوبوليس» العظيم؛ فإنه بالرغم من كل ذلك كان قد أزال معظم سقط المتاع القديم من الشعائر الدينية التي كان يتألف منها ظواهر اللاهوت التقليدية.

ولذلك ترانا نبحث عبثًا في ذلك اللاهوت الجديد عن القوارب الشمسية، كما ترانا نبحث عبثًا عن باقي الإضافات التي أدخلت فيما بعد على المذهب الشمسي في مثل السياحة في كهوف الأموات السفلية وغير ذلك؛ إذ قد محيت منه جملة. فإذا كان الغرض الذي رمت إليه حركة مذهب «آتون» هو التوفيق بينها وبين كهنة «آمون» فإنها قد فشلت وقام بينهما ألد الخصام، الذي اشتد وبلغ الذروة عندما صمم الملك على أن يتخذ من «آتون» إلهًا واحدًا للإمبراطورية المصرية ويقضي على عبادة «آمون». وقد نتج عن ذلك المجهود الذي بذل لمحو كل الآثار الدالة على وجود «آمون»، أن اتخذت جميع الإجراءات الممكنة المؤدية إلى ذلك الغرض. فنجد أن الملك قد غير اسمه من «أمنحوتب» (يعني آمون راضٍ) إلى إخناتون (يعني آتون راضٍ). وذلك الاسم الجديد الذي اتخذه لنفسه الملك هو ترجمة للاسم القديم للملك بفكرة مماثلة لما كانت عليه، غير أنه حول إلى مذهب «آتون».

هذا من جهة، وكان اسم «آمون» من الجهة الأخرى يمحى أينما وجد فوق آثار «طيبة» العظيمة. على أن ذلك الملك تنفيذًا لفكرته لم يحترم في ذلك حتى اسم والده الملك «أمنحوتب» الثالث، مع أن الأمر لم يكن مقصورًا على محو اسم «آمون» فحسب، بل تعداه حتى لكلمة الآلهة بصفتها جمعًا حيث كان يأمر بمحوها أيضًا أينما وجدت، كأنه رأى أن الجمع مظنة لتعدد الآلهة فمحاه، وكذلك عوملت أسماء سائر أفراد الآلهة الآخرين معاملة «آمون» بالمحو.

وقد هجر الملك «إخناتون» طيبة، برغم ما كان لها من السيادة والأبهة، عندما وجد ارتباكها بالتقاليد اللاهوتية القديمة الكثيرة، وأقام لنفسه حاضرة جديدة في منتصف الطريق بين طيبة والبحر، تقريبًا في بقعة تعرف في وقتنا هذا باسم «تل العمارنة»، وسماها «إخناتون» (أفق آتون)، كما أسَّس في بلاد النوبة مدينة «لآتون» مشابهة لها. ومن المحتمل جدًّا أنه أقام مدينة أخرى لذلك الإله في آسيا. وبذلك صار لكل من الثلاثة الأجزاء العظيمة التي تتألف منها الدولة، وهي: «مصر» و«النوبة» و«سوريا»، مقر لمذهب «آتون»، وقد بنيت كذلك معابد أخرى «لآتون» في أماكن مختلفة في مصر غير المعابد المبنية في تلك الحواضر. ولم يتم ذلك طبعًا دون تأليف حزب قوي من رجال البلاط الملكي يمكن للملك به أن يناهض أولئك الكهنة المنبوذين، وبخاصة كهنة «آمون».

وقد أثرت تلك الفتنة التي نتجت عن ذلك الانقلاب بلا شك تأثيرًا خطيرًا في قوة البيت المالك؛ إذ كان حزب ذلك البلاط الذي نما إذ ذاك في ظل «إخناتون» يعمل معه، متضامنَيْن على نشر ذلك المذهب الديني الجديد الذي يصح أن يعد أهم دور وأبهجه في تاريخ ذلك الشرق القديم، يدلنا على ذلك ما بقي من نقوشه الباقية فوق جدران تلك المقابر التي نحتها الملك في الصخر لأشراف رجاله قبالة الجبال المنخفضة التي تقع في الهضبة الشرقية القائمة خلف تلك المدينة الجديدة.

والواقع أننا مدينون لمقابر أتباع ذلك الملك بمعلوماتنا هذه التي تتضمن تلك «التعاليم» الهامة التي كانت تنشر في تلك الآونة، وهي تحتوي على سلسلة أناشيد في مدح إله الشمس كما تحتوي على مديح إله الشمس والملك بالتبادل. وتلك «التعاليم» تمدنا على الأقل بلمحة من عالم الفكر الذي نشاهد فيه ذلك الملك الشاب وأتباعه رافعين أعينهم نحو السماء، محاولين بذلك إدراك مجالي الذات الإلهية في بهائها الأبدي الذي لا حدَّ له ولا نهاية، وهي الإلهية التي لم ينحصر سلطانها بعد في وادي النيل، بل امتد بين جميع البشر في العالم كله.

ولا يمكننا الآن أن نأتي بشيء عند هذه السانحة أفصح من تلك الأناشيد التي تقص علينا بنفسها شيئًا، وأطول أنشودة بينها وأهمها هي الآتية بعد:

بهاء «آتون» وقوته العالمية

أنت تبزغ بجمالك في أفق السماء
أنت يا «آتون» الحي الذي كنت في أزلية الحياة
فحينما كنت تشرق في الأفق الشرقي
كنت تملأ بلاد الكون بجمالك
أنت جميل ومتلألئ ومشرق فوق كل أرض الكون
وأشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية جميع مخلوقاتك
أنت يا «رع» وأنت تخترق حتى نهايتها القصوى (يعني الأرضين)
وأنت توثقهم (يعني البشر) لابنك المحبوب (الفرعون)
ورغم أنك قَصيٌّ جدًّا فإن أشعتك فوق الأرض
ورغم أنك تجاه البشر فإن خطواتك خفية «عنهم».

(٨) الليل والإنسان

(٨-١) الأنشودة

وحينما تغيب في أفق السماء الغربي فإن الأرض تظلم كالموت
فينامون في حجراتهم
ورءوسهم ملفوفة
ومعاطسهم مسدودة
ولا يرى إنسان الآخر
في حين أن أمتعتهم تسرق
وهي تحت رءوسهم
وهم لا يشعرون بذلك.

(٨-٢) المزامير

تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يدب كل حيوان الوعر (المزمور ١٠٤: ٢٥).
ونظمها بعض النصارى فقال:

تجعل ظلمة فذا ك الليل أسدلا
والحيوان عند ذا يدب في الفلا

(نظم المزامير ١٠٤: ٢٠)

(٩) الليل والحيوان

(٩-١) الأنشودة

وكل أسد يخرج من عربته «ليفترس»
وكل الثعابين تنساب لتلدغ
والظلام يخيم
والعالم يكون في صمت
في حين أن الذي خلقهم باقٍ في أفقه.

(٩-٢) المزامير

الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها (المزمور ١٠٤: ٢١).
وقد نظمها بعض النصارى فقال:

تزمجر الأشبال كي تخطف ما تراه
كذا لكي تلتمس الطَـ ـعام من الله

(نظم المزامير ١٠٤: ٢١)

(١٠) النهار والإنسان

(١٠-١) الأنشودة

والأرض زاهية حينما تشرق في الأفق
وعندما تضيء بالنهار مثل «آتون»
فإنك تقصي الظلمة إلى بعيد
وحينما ترسل أشعتك
تصير الأراضي في عيد
والناس يستيقظون
ويقفون على أقدامهم عند إيقاظك لهم
وبعد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم
ثم يرفعون أذرعتهم تعبدًا لطلعتك
ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم في كل العالم ...

(١٠-٢) المزامير

تشرق الشمس فتجتمع
وفي مآويها تربض
الإنسان يخرج إلى عمله
وإلى شغله إلى المساء.

(المزمور ١٠٤: ٢٢-٢٣)

إذ تشرق الشمس ترا ها اجتمعت للحين
ثم انزوت رابضة في وسط العرين
فيخرج الإنسان للدْ دُخول في الأعمال

يبقى إلى المساء في دوائـــر الأشـــغـــال

(المزمور ١٠٤: ٢١–٢٣)

(١١) النهار والحيوان والنبات

وجميع الماشية ترتع في مراعيها
والأشجار والنباتات تينع
والطيور في مستنقعاتها ترفرف
وأجنحتها منتشرة إليك تعبدًا
وجميع الغزلان ترقص على أقدامها
وجميع المخلوقات التي تطير أو تحط أو تدب
تحيا عندما تشرق عليها.

(١٢) النهار والمياه

(١٢-١) الأنشودة

والسفن تقلع في النهر صاعدة أو منحدرة فيه على السواء
وكل فج مفتوح لشروقك
والسمك يسبح في النهر أمامك
وأشعتك تنفذ إلى أعماق البحر «الأخضر العظيم».

(١٢-٢) المزامير

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف
هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان

مع كبار هناك تجري السفن لوياثان
هذا خلقته ليلعب فيه.

(المزمور ١٠٤: ٢٥-٢٦)

ونظمها بعض النصارى فقال:

فالأرض ممتلئة من خيرك الغزير
وبحرها المتسع الـ أطراف والكبير

* * *

ليس لدباباته عدٌّ ولا انحصار
فالحيوانات به الـ ـكبار والصغار
هناك تجري سفن تأتي وتذهب
لوياثان فيه قد خلقت يلعب

(المزمور ١٠٤: ٢٥-٢٦)

(١٣) خلق الإنسان

أنت خالق الجرثومة في المرأة
والذي يذرأ من البذرة أناسًا
وجاعل الولد يعيش في بطن أمه
مهدئًا إياه حتى لا يبكي
ومرضعًا إياه حتى في الرحم
وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته
حينما ينزل من الرحم (أمه) في يوم ولادته
وأنت تفتح فمه تمامًا
وتمنحه ضروريات الحياة.

(١٤) خلق الحيوان

وحينما يصير الفرخ في لحاء البيضة
تعطيه النفس ليحفظه حيًّا في وسطها
وقد قدرت له ميقاتًا في البيضة ليخرج منها
وهو يخرج من البيضة في ميقاته «الذي قدرته له»
فيمشي على رجليه حينما يخرج منها.

(١٥) الخلق العالمي

(١٥-١) الأنشودة

ما أكثر تعدد أعمالك
وهي على الناس خافية
يا أيها الإله الأحد
الذي لا يوجد بجانبه شأن «لأحد»
لقد خلقت الأرض حسب رغبتك

* * *

وحينما كنت وحيدًا «لا شيء غيرك»
خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان
وجميع ما على الأرض
مما يمشي على رجليه
وما في عليين مما يطير بأجنحته
وفي الأقطار العالية سوريا
وكوش وأرض مصر

* * *

وإنك تضع كل إنسان في موضعه
وتمدهم بحاجاتهم

وكل إنسان لديه قوته
وأيامه معدودات

* * *

والألسنة في الكلام مختلفة
وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم
لأنك تخلق الأجانب مختلفين.

(١٥-٢) المزامير

ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت
ملآنة الأرض من غناك.
ونظمها بعض النصارى فقال:

يا رب ما أعظم أعـ ـمالك يا منان
جميعها صنعت بالـ ـحكمة والإتقان

* * *

فالأرض ممتلئة من خيرك الغزير
وبحرها المتسع الـ أطراف والكبير

(نظم المزامير ١٠٤: ٢٤-٢٥)

(١٦) ري الأراضي في مصر وفي خارجها

أنت تخلق النيل في العالم السفلي
وأنت تأتي به كما تشاء
ليحفظ أهل مصر أحياء (كلمة أهل استعملت هنا فقط لأهل مصر)

لأنك خلقتهم لنفسك
وأنت سيدهم جميعًا
وأنت الذي تنهك[١٠٨] نفسك من أجلهم
وأنت رب كل قطر
وأنت الذي تشرق من أجلهم
وأنت شمس النهار عظيم الافتخار
وجميع كل الأقطار العالمية القاصية
تخلق حياتها أيضًا
لقد وضعت نيلًا في السماء
وحينما ينزل لهم يصنع أمواجًا فوق الجبال
مثل البحر الأخضر العظيم
فيروي حقولهم في مدنهم

* * *

ما أكرم مقاصدك يا رب الأبدية!

* * *

ويوجد نيل في السماء للأجانب
ولأجل غزلان كل الهضاب التي تتجول على أقدامها
أما النيل فإنه يأتي من العالم السفلي لمصر.

(١٦-١) فصول السنة

أشعتك تغذي كل بستان (كلمة تغذية هنا تعني تغذية الأم لطفلها)
وعندما تبزغ فإنها تحيا

[١٠٨] وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (سورة ق ٥٠، آية ٣٨).

فهي تنمو بك
أنت تخلق كل الفصول
لأجل أن ينمو كل ما صنعت
فالشتاء يأتي إليهم بالنسيم العليل
والحرارة لأجل أن تستطعمها (أي يكون لها طعم لذيذ في فمك).

(١٧) السيطرة العالمية

أنت خلقت السموات العُلا لتشرق فيها
ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدًا «لا شيء غيرك»
مضيئًا في صورتك مثل «آتون» الحي
وبازغًا وساطعًا وذاهبًا بعيدًا وآيبًا «في الغدو والآصال»
وأنت تخلق آلاف الآلاف من الصور منفردًا بنفسك
والمدن والقرى والحقول والطرق العامة والأنهار
وجميع العيون تراك تجاهها
لأنك «آتون» (شمس) النهار فوق الأرض
وحينما تغيب
وجميع الناس الذين سويت وجوههم
لأجل ألَّا ترى نفسك بعد وحيدًا
يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما قد خلقته
ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي.

(١٨) وحي الملك

ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك «إخناتون»
لقد جعلته عليمًا بمقاصدك وبقوتك.

(١٩) الوقاية العالمية

العالم يعيش بصنيع يدك
فيحيا حينما تشرق
ويموت حينما تغيب
لأن حياتك طول مدى نفسك
والناس يعيشون بوساطتك
وأعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب
وكل نصب يطرح جانبًا
وحينما تغيب في الغرب وحينما تشرق ثانية
تجعل كل كف يندى لأجل الملك
والخير في إثر كل قدم
منذ أن خلقت العالم
وأوجدتهم لابنك
الذي ولد من لحمك
ملك الوجه القبلي والوجه البحري
العائش في الصدق رب الأرضين
«نفر» – «خبرو» – «رع» – «وان رع» (إخناتون)
ابن «رع» العائش في الصدق رب التيجان
«إخناتون» ذو الحياة الطويلة
«ولأجل» كبرى الزوجات الملكية محبوبته
سيدة الأرضين «نفر» – «نفرو» – «آتون» – «نفرتيتي»
عاشت وازدهرت أبد الآبدين.

ويحتمل ألا تمثل هذه الأنشودة الملكية إلا قطعة منتخبة أو سلسلة منتخبة من شعائر «آتون» كما كان يحتفل بها من يوم لآخر في معبد آتون بتل العمارنة.

ومما يؤسف له أن هذه الأنشودة لم تدون إلا في مقبرة واحدة فقط من تلك الجبانة، وقد فقد منها نحو ثلثها من جراء تعدي المخربين من الأهالي الحاليين؛ ولذلك لم يصلنا من الجزء المفقود إلا نسخة نُقلت من غير اعتناء وعلى عَجَل منذ خمسين سنة (أي سنة ١٨٨٣م).

وأما المقابر الأخرى فقد كتبت نقوشها الدينية بالنقل عن الفقرات التي كانت شائعة الاستعمال وقتئذٍ، وعن الجمل التي كان علمها مفروضًا، وهي التي عرفنا منها مذهب «آتون» كما فهمه الكتاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر.

ويجب علينا ألا ننسى أن المنتخبات التي بقيت لنا في جبانة «تل العمارنة» من مذهب «آتون» — وهو مصدرنا الرئيسي — قد وصلت بشكل آليٍّ إلى فئة قليلة من الكتبة المهملين غير المدققين ذوي العقول الخاوية الفاترة، وهؤلاء كانوا لا يعتبرون إلا أذنابًا لحركة عقلية دينية عظيمة.

وغير هذه الأنشودة الملكية نجد أن أولئك الرسامين كانوا قانعين في كل مكان بالقِطَع والنُّتَف التي نقلت في بعض الأحوال من تلك الأنشودة الملكية نفسها أو بقطع أخرى مرقعة وضعت بهيئة أنشودة قصيرة، حيث ينقشونها كلها أو بعضًا منها على هذا القبر أو ذاك، وهم في ذلك ليسوا إلا مسخرين فيما يعملون. ولما كانت المواد التي في متناولنا عن ذلك المذهب ضئيلة إلى هذا الحد، مع أهمية الحركة التي أماطت لنا عنها اللثام؛ فإن تلك المعلومات الجديدة القليلة — التي تمدنا بها تلك الأنشودة القصيرة — صارت لها قيمة عظيمة.

وقد عزيت تلك الأنشودة في أربع حالات إلى الملك نفسه — إي إن الملك يشاهَد وهو ينشدها أمام «آتون».

وهاك نصها كما جاءت:

أنت تشرق بجمالك يا «آتون» الحي يا رب الأبدية
إنك ساطع وقوي وجميل
وحبك عظيم وكبير
أشعتك تمد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك
ولونك الملتهب يجلب إلى قلوب البشر الحياة
عندما تملأ بحبك الأرضين
إيه أيها الإله الذي سوَّى نفسه بنفسه
وخالق كل أرض
وبارئ كل من عليها
والناس، وكل قطعان الماشية والغزلان
وكل الأشجار التي تنمو فوق التربة

تحيا عندما تشرق عليهم
وأنت الأب والأم لكل من خلقته
وعندما تشرق ترى عيونهم
بوساطتك
وتضيء أشعتك كل العالم
وينشرح بسبب رؤيتك كل قلب
عندما تشرق بصفتك سيدهم

* * *

وعندما تغيب في أفق السماء الغربي
ينامون كأنهم أموات
وتدور رءوسهم
وتقف معاطسهم
حتى يعود شروقك في الصباح
في أفق السماء الشرقي
وعنئذ يرفعون أذرعتهم إليك تعبدًا
وتجعل قلوب البشر تحيا بجمالك
لأن الناس تحيا عندما ترسل أشعتك
ويكون جميع الكون في عيد
فالغناء والموسيقى وتهليل الفرح
تكون في قاعة بيت «بنبن»[١٠٩]
وفي معبدك في إخناتون ومكان الصدق (ماعت)
حيث تكون فيه مسرورًا
ويقدم لك فيه الطعام والمئونة

[١٠٩] كان الـ «بنبن» حجرًا هرميَّ الشكل مثل الهرم الصغير الذي يتوج المسلة. وقد كان هذا الحجر يعتبر غاية في القداسة، وكان في الأصل يحتل مكانة ممتازة في المعبد أو في بيت معبد الشمس الذي في هليوبوليس. وهذه الفقرة تدل على أن إخناتون قد أدخل في معبد تل العمارنة «بنبن» مماثلًا للذي كان في هليوبوليس.

ويؤدي لك ابنك الطاهر احتفالاتك السارة
يا آتون الحي في مواكبه البهجة
كل ما خلقته يطرب أمامك
ويفرح ابنك الجليل وقلبه في حبور
آه يا آتون الحي المولود كل يوم في السماء
إنه يلد ابنه الجليل وإن رع (إخناتون)
مثل نفسه دائمًا
ابن الشمس اللابس جماله «نفر خبرو-رع وان رع (إخناتون)»
وحتى أنا ابنك الذي تسر به
والذي يحمل اسمك
قوتك وبطشك يسكنان في قلبي
وحتى أنت يا آتون العائش الأبدي ...
لقد خلقت السماء العليا لتشرق فيها
لأجل أن تشاهد كل ما صنعته
عندما كنت لا تزال وحيدًا «لا شيء غيرك»
وعشرات آلاف الأنفس موجودة فيك لتحفظها حية
لأن مشاهدة أشعتك[١١٠] هو نفس الحياة في المعاطس
وجميع الأزهار تحيا وكل ما تنبت الأرض يحيا
ويصير ناميًا لأنك تشرق
فهي نشوى أمامك
وجميع الماشية تطفر على أقدامها
والطيور تطير في المستنقع من الفرح
وأجنحتها التي كانت مطوية تنتشر
مرفوعة لآتون الحي تعبدًا
أنت ياخالق ...[١١١]

---

[١١٠] وفي رواية أخرى أن النفس يدخل في المعاطس عندما تظهر نفسك لهم.

[١١١] بقية هذا السطر قد فقدت. ولم يستمر من الخمسة المتون لهذه الأنشودة إلا متن واحد، ونجده كذلك قد انقطع عند هذه النقطة.

ففي هذه الأناشيد توجد قوة عالمية ملهمة لم توجد من قبل لا في الفكر المصري القديم ولا في فكر أية مملكة أخرى، فهي تشمل في مداها العالم كله، كما يدعي الملك أن الاعتراف بسيادة إله الشمس العالمية كان كذلك شاملًا، وأن جميع البشر يعترفون بسلطانه، وكذلك قال الملك عنهم في لوحة الحدود العظيمة:

إن آتون خلقهم «لنفسه هو»
فجميع الأراضي وأهل بحر إيجه يحملون
ضرائبهم وجزيتهم فوق ظهورهم إلى الذي
أوجد حياتهم والذي بأشعته يحيا البشر
ويستنشق الهواء.

ومن الواضح أن «إخناتون» كان يبرز بذلك دينًا عالميًّا يحاول أن يحله محل القومية المصرية التي سبقته وسارت عليها البلاد خلال عشرين قرنًا مضت. وبجانب تلك القوة العالمية نجد كذلك أن «إخناتون» كان يتأثر تأثرًا عميقًا بأزلية إلهه. وكان الملك نفسه يتقبل — بسكينة واطمئنان — فناء نفسه؛ فنراه في باكورة حكمه في «تل العمارنة» يعلن التعليمات الدقيقة الخاصة بدفنه فيما بعد الموت، ويسجِّلها باستمرار فوق اللوحات التي أقامها على الحدود المصرية، ولكنه مع ذلك كان يعتمد على علاقته الوثيقة «بآتون» حتى يضمن له شيئًا من خلود إله الشمس؛ ومن أجل ذلك كان يحتوي لقبه الرسمي دائمًا بعد ذكر اسمه على النعت الآتي «الذي مدة حياته طويلة».

ولكن في بداية كل شيء برَّأ «آتون» نفسه من الوحدة الأزلية؛ أي إنه الخالق لكينونة نفسه؛ إذ نجد في إحدى لوحات «تل العمارنة» العظيمة أن الملك يسميه هكذا:

سوري المكون من «مليون» ذراع
ومذكري بالأبدية
وحجتي بالأشياء الأبدية
وهو الذي سوَّى نفسه بنفسه بيده هو
والذي لا يعرفه صانع.

ونجد أن الأناشيد تميل في انسجام مع هذه الفكرة إلى أن تردد تلك الحقيقة القائلة: إن خلق العالم الذي يلي ذلك قد حدث حينما كان الإله لا يزال وحيدًا «لا شيء غيره».

وتكاد الكلمات «حينما كنت لا تزال وحيدًا لا شيء غيرك» تكون نداءً يردد في تلك الأناشيد. وهو الخالق العالمي الذي ذرأ كل أجناس البشر وميَّز بعضهم عن بعض في اللغة واللون والجلد، ولا تزال قوته المنشئة مستمرة تأمر بالخروج من العدم إلى الحياة حتى من البيضة الجامدة.

ولم يظهر عجب الملك بشكل بارز في أي مكان آخر أكثر مما نجده مذكورًا بسذاجة في تعبيره عن قوة إله الشمس المانحة الحياة في تلك المعجزة التي تتمثل في أنه داخل لحاء البيضة التي يسميها الملك «حجر البيضة»؛ أي في هذا الحجر الذي لا حياة فيه تجيب أصوات الحياة نداء أمر «آتون»، فيخرج مخلوق حي بعد أن أنعشه النفس الذي يمنحه إياه «ذلك الإله».

وتلك القوة المانحة الحياة هي مصدر الحياة الدائمة والزاد، والوساطة المباشرة لها هي أشعة الشمس التي تجلب النور والحرارة إلى الناس.

وذلك الاعتراف المدهش بنشاط الشمس بصفتها منبع الحياة فوق الأرض يردد باستمرار دائم.

فالأناشيد تميل إلى الإمعان في ذكر أنها قوة عالمية عتيدة على الدوام:

أنت في السماء ولكن أشعتك فوق الأرض
أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظيم
أشعتك فوق ابنك المحبوب
ذلك الذي يجعل بأشعته الأعين سليمة
إن مشاهدة أشعتك هي نفس الحياة في المعاطس
والطفل (يعني الملك) الذي ولد من أشعتك
لقد سويته (يعني الملك) من أشعة نفسك
أشعتك تحمل ألف الألف من الأفراح الملكية
وحينما ترسل أشعتك فإنه الأرضين
تكونان في فرح
أشعتك تشمل الأرضين وحتى كل ما صنعته
وسواء أكان في السماء أم في الأرض فإن كل

الأعين تشاهده دائمًا
وهو يملأ «كل الكون» بأشعته ويجعل
كل البشر يعيشون.

واعتماد مصر في حياتها على «النيل» جعل من المستحيل تجاهل ذلك المنبع الحيوي في عقيدة الملك «إخناتون»؛ إذ الواقع أنه لا شيء يكشف لنا بوضوح عقيدة «إخناتون» وقوة عقله أكثر من أنه محا طائفة الأساطير التي كانت محترمة والتقاليد التي جعلت «النيل» الإله «أوزير» عدة أزمان. ثم نسب الفيضان في الحال إلى قوى طبيعية يسيطر عليها ذلك الإله. وهو الذي خلق — بمثل ذلك الاهتمام — للبلاد الأخرى نيلًا آخر في السماء.

وقد تجوهل كلية الإله «أوزير»؛ فلم يُذكر قط في كل «الوثائق الإخناتونية»، بل ولا في أي قبر من قبور «تل العمارنة».

ثم ينتقل عند هذه النقطة تفكير «إخناتون» إلى ما وراء الاعتراف المادي المحض عن نشاط الشمس فوق الأرض؛ إذ يدرك اهتمام «آتون» الأبوي بجميع المخلوقات.

وذلك التفكير هو الذي رفع من شأن الحركة التي قام بها «إخناتون» إلى حد بعيد فوق ما كانت قد وصلت إليه ديانة قدماء المصريين أو ديانات الشرق بأجمعه قبل ذلك الوقت، حيث كان إله الشمس في نظر «إبور» راعيًا شفيعًا كما تقدم ذكره فيما سبق كما كان الناس في نظر «مريكارع»، كذلك — كما سبق ذكره أيضًا — «قطعانه» التي من أجلها صنع الهواء والماء والطعام.

ولكنا نجد أن «إخناتون» يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول لإله الشمس: «أنت أب وأم لكل ما صنعت.»

وذلك «التعليم» هو الذي ينبئ عن كثير من التطور المقبل في «دين القوم» حتى إلى عصرنا الحالي، فكان جميع العالم الحي في نظر تلك الروح الحساسة التي كانت تدب في نفس ذلك الخيالي المصري يملؤه شعور قوي بوجود «آتون»، وبالاعتراف بشفقته الأبوية، فمستنقعات السوسن «النشوي» تينع أزهارها بإشعاع «آتون» الأخَّاذ الذي تنشر الطيور أجنحتها فيه «تعبدًا لآتون الحي»، وفيه تطفر الماشية فرحة في ضوء الشمس ويثب السمك في النهر مرحبًا بالنور العالمي الذي تنفذ أشعته حتى في «وسط البحر الأخضر العظيم».

كل تلك الأشياء تكشف لنا عن مدى إدراك ذلك الوجود العالمي لإله الطبيعة، وعن اقتناع باطني معترف بذلك الوجود عند كل المخلوقات.[١١٢]

(٢٠) الأناشيد الدينية بعد عهد إخناتون

لا نزاع في أن الحركة التي قام بها إخناتون قد وقفت مجرى سير حياة الشعب المصري فجأة، وحوَّلته إلى اتجاه غريب بالرغم من قوة اندفاعه وشدة تمسُّكه بالعقائد القديمة؛ فرأينا أماكن الشعب الطاهرة تدنس، ومزاراته المقدسة المتوجة بهالات من القدم والخلود تُوصَد ويُطرد كهنتها، وامَّحى ذلك النظام العتيق جملةً من أقطار البلاد كلها، فكانت الجماعات إذا ذهبت مدفوعة بالغرائز المتغلغلة في نفوسها من قديم لتزور تلك الأماكن المقدسة وجدتها خاوية على عروشها كأن لم تغنَ بالأمس؛ فتقف هناك مسلوبة العقول أمام تلك المعابد القديمة الموصدة، وعند تلك القاعات المحترمة التي كانت تزخر بالناس في الأعياد المقدسة، فصارت مُوحشة واجمة ساكنة، لا تسمع فيها غير صفير الرياح تتجاوب في أنحائها، بل نُفِي من البلاد كل الآلهة، وحرم على كل إنسان أن ينطق باسم واحد منها؛ فساء ذلك الكهنة وغيرهم من أهل الحرف الذين كانوا يعيشون في كنف هؤلاء الآلهة من الحفارين والكتاب الذين كانوا ينسخون كتب الموتى، ورجال الكهانة المسرحيين الذين كانوا يعيشون من تمثيل مأساة «أوزير» في تلك الأماكن المقدسة، وكذلك الأطباء الذين حرموا تجارتهم الخاصة بالاحتفالات السحرية التي كانت تستعمل بنجاح منذ أقدم العهود ... إلخ.

---

[١١٢] وأهم مصادر هذا الفصل ما يأتي:

(1) Baike, “The Amarna Age”.
(2) Breasted, “The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt” pp. 319 ff.
(3) Breasted, “The Dawn of conscience” pp. 277. ff.
(4) Sethe, “Beiträge zur Geschichte Amenophis IV”.
(5) Schafer, “Die Religion und Kunst von ElAmarna”.
(6) Erman, “Die Religion der Agypter” pp. 109 ff.

في هذا الوسط المظلم الملبَّد بسُحُب من التذمر الخانق، ضرب هذا الملك الشاب المدهش هو وأتباعه سرادق دينه في رابعة النهار، في هدوء لا شعور معه بذلك الظلام الدامس الذي شمل كل ما حوله، وقد كان يزداد ظلمة كل يوم منذرًا بخطر عظيم.

وإذا وضعنا حركة إخناتون على أساس ذلك التذمر الشعبي الذي سبق ذكره، ثم أضفنا إلى تلك الصورة معارضة رجال الدين القدامى السرية التي كانت خطرًا مباشرًا عظيمًا، ومعارضة حزب «آمون»، الذي لم يكن قد غُلب على أمره تمامًا، وطائفة الجنود الأقوياء الذين كانوا ساخطين على سياسة الملك السلمية في آسية، وزدنا على كل ما تقدم نفور الملك من إدارة أملاكه الدولية والمحافظة عليها؛ أدركنا شيئًا عن تلك الشخصية القوية التي كانت تتمثل في إخناتون، والتي كانت لا تحفل بغير ما تعتقد، حتى صار أول قائد فعلي في تاريخ العالم. ولا نزاع في أن حكمه يعد أقدم محاولة لسيطرة الآراء الفردية التي لا تقيم وزنًا لميول الشعب الذي فرضت عليه تلك الآراء ولا معرفة مدى استعداده لقبولها.

ولقد كان من سوء حظ «إخناتون» أن يفرض عقيدته في بلد لم يكن فيه رجل يستطيع نسيان الماضي غير «إخناتون» نفسه. ولقد ذكرنا خياله بآمال الإسكندر الذي جاء بعده بألف عام، ولكنه كان سابقًا لعهده بعدة قرون.

على أن الحقيقة التي كانت تحيط به، والمركز المهدد الذي دعا حزبه أن يتبصر فيه قد صوره لنا «توت عنخ آمون» عندما أخذ يعيد النظام القديم:

وأغلقت معابد الآلهة والإلهات من الفنتين (أسوان)
إلى مستنقعات الدلتا ...
ومساكنهم المقدسة هجرت ونبت على مدنها المرعى
وصارت معابدهم كأن لم تغنَ بالأمس
وبيوتهم صارت طرقًا معبدة
والبلاد كانت في مأزق أثيم
أما الآلهة فقد هجرت هذه الأرض
وإذا أرسل قوم إلى سوريا لمد حدود مصر ما كان
الفلاح حليفهم قط

وإذا دعا الناس الإله لإنقاذهم ما أجاب
وكذلك إذا استعطف الناس آلهة أعرضت عنهم
وكانت قلوبهم في أجسامهم عليها أقفالها.

ولقد سقط ذلك الثوري العظيم في ظروف غامضة مبهمة، وكانت نتيجة سقوطه إعادة عبادة «آمون» والآلهة القدامى التي فرضها كهنة «آمون» على «توت عنخ آمون»، ذلك الشاب الضعيف زوج ابنة «إخناتون»، فرجع النظام القديم إلى ما كان عليه.

وقد أعاد «توت عنخ آمون» عبادة الآلهة القدامى. ويشير إلى نفسه بأنه «هو الحاكم الطيب الذي قام بأعمال عظيمة لوالد كل الآلهة (يعني آمون)، والذي أصلح له كل ما كان مخربًا حتى صار آثارًا خالدةً، ومحيت من أجله الخطيئة في الأرضين، وبذلك استمرت العدالة (ماعت) وجعل الظلم شيئًا تمقته البلاد كما كانت الحال في البداية.» ومن هذا نفهم أن سقوط «إخناتون» كان يعتبر في نظر أعدائه المنتصرين إعادة للنظام الخلقي القويم (ماعت) وإقصاءً للظلم. وبذلك مُحِيَ اسم «إخناتون»؛ ذلك الرجل الفذ في تاريخ العالم القديم، وأصبح يلقب «بمجرم أخيتاتون» (عاصمته في تل العمارنة).

وقد أنشدت الأغاني فرحًا برجوع عظمة «آمون» كما سنرى بعد. وقد كان حنق القوم على «إخناتون» شديدًا؛ فمحوا اسمه، وقضوا على آثاره أينما وجدت، ولكنا نتساءل الآن: هل تركت هذه الحركة الفكرية العظيمة أثرًا في عقول أهل الشعب المصري؟ وهل لأقدم ثورة للعقل البشري ما ينتظر لمثلها من نتيجة باقية؟ والجواب على ذلك ليس بالعسير؛ فالمذهب الجديد الذي وضعه «إخناتون» كان كشهاب لامع في وسط ظلام دامس؛ فجذب النظر، وترك بعض الأثر، يدلك على ذلك أنشودة الفوز بانتصار كهنة «آمون» على مذهب «إخناتون»؛ فهي نفسها تنم عن اتصالها بالمذهب الشمسي القديم، أو بعبارة أخرى مذهب التوحيد.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن عقيدة «إخناتون» قد تركت أثرًا كبيرًا في إنماء فكرة التوحيد عند أتباع آمون، حتى إن لفظة «آمون» يمكن أن تعتبر مرادفة للفظة «آتون»، وإن «آمون» أصبح بعد عهد «إخناتون» يعتبر الإله الواحد، يضاف إلى ذلك أن كثيرًا من الصفات التي تنطبق على الإله الواحد الذي كان يعبده «إخناتون» قد بقيت يتصف بها الإله «آمون».

ومن ذلك العهد أخذت تظهر في الديانة المصرية نزعة جديدة إلى التدين الشخصي واتصال الفرد بربه مباشرة، وكذلك أخذ المصري يعترف بذنوبه جهارًا ويطلب من الله

الغفران، وكذلك أخذ الفقير والغني يخشيان على السواء أن يحيق بهما غضب الله إذا حصلت من أحدهما خطيئة، كما أخذ الورع الشخصي يظهر بين الأتقياء من الشعب.

وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة من الأناشيد التي كانت تؤلف للإله «آمون» وغيره من الآلهة. وسيرى القارئ فيها أنها ليست بأناشيد توحيد أو استعطاف شخصي لهذا الإله أو ذاك؛ مما يدل على نمو الفكرة الدينية عند القوم، ولقد ساعدها نمو الضمير أو الوعي الإنساني الذي بلغ درجة عظيمة في مصر، ومنه أخذ العالم المحيط بها من كل الجهات، وبخاصة فلسطين معهد الرسل والأنبياء.

(٢٠-١) قصائد عن طيبة وإلهها[١١٣]

هذا المؤلف الذي قد ضاع أوله وآخره يحتمل أنه كان يحمل عنوان «الألف أنشودة»؛ لأنه خلافًا للتقاليد المتبعة كان لكل قسم من أقسامه رقم، ومن هذه الأرقام لا ينقص الألف إلا اثنين؛ لأنهما كانا في القطعة الناقصة في نهاية آخر صفحة. والحقيقة أن هذا المؤلف لم يكن يشمل ألف أنشودة، ولكنه وصل إلى هذا الرقم بحيلة؛ إذ لم يحسب غير الآحاد والعشرات والمئات؛ ولذلك كان عدد الألف في الحقيقة ثمانية وعشرين فقط. وقد كان يظهر أهمية كبرى لأرقامه، بدليل أنه كان يبتدئ القصيدة ويختمها بكلمة فيها تورية المقصود منها أن تدل السامع على العدد الذي هو بصدده، وقد أثَّر المجهود الذي كان يقوم به الكاتب لإيجاد التورية التي تشير إلى العدد المطلوب على ترتيب الموضوعات.

وتدل هذه القصائد من اختيارها ومحتوياتها على أن كاتبها كان شاعرًا عالمًا ولم يكن ضعيفًا في شاعريته ولا في معانيه. وقد كتبت هذه القصائد في أوائل الأسرة التاسعة عشرة، ولم تكن أنشودة «أمنحوتب الرابع» قد نسيت بعد.

الفصل السادس[١١٤]: كل إقليم يرهبك وسكانه خاضعون ... واسمك سامٍ وعظيم وقوي، والفرات والبحر في وجل منك. وسلطانك ذو وطأة على الأرض، وفي الجزر التي في وسط البحر الأبيض ...

---

[١١٣] Papyrus in Leyden. cf. Gardiner, A. Z. XI ii pp. 12 ff.

[١١٤] يصف الفصل السادس قوة «آمون» في كل الأراضي، ويصف كل القرابين الخاصة به التي تأتي إليه من كل أرجاء المعمورة.

وسكان «بنت» يأتون إليك، وأرض الإله[١١٥] تصبح خضراء لأجلك حبًّا فيك، ويجلبون لك الروائح العطرية لتجعل معبدك في عيد بالروائح الذكية، والأشجار التي تحمل البخور تُسقط العطر من أجلك. وشذا رائحتك يتخلل أنفك، والنحل (؟) يُعَدُّ لجني الشهد ... وكل الزيوت الغالية تجلب لك، وشجر الصنوبر يغرس لك ... لتصنع قاربك الفاخر، و«سرحت»[١١٦] والجبال تمدك بقطع من الحجر الضخم لتقيم بها «بوابات» «معبدك»، والسفن في البحر راسية بجانب الشاطئ تحمل وتسافر أمامك ... والنهر ينساب مع التيار، وريح الشمال تهب على النهر جالبة القربان لك من كل ما ...

الفصل السابع: يبتدئ هكذا: «إن الأشرار قد طردوا من طيبة.»[١١٧] وبعد ذلك يمدحها بوصفها سيدة المدن التي تعد أقوى من أية مدينة؛ فقد منحت الأرض ربًّا واحدًا بانتصاراتها، وهي التي قد أخذت القوس وقبضت على النشاب، ولا يجسر أحد أن يحارب على كثب منها؛ لأن قوتها غاية في العظم. وكل مدينة تفاخر بنفسها (؟) باسمها،[١١٨] وهي أميرتها وأعظم منها سلطانًا (أي المدن الأخرى).

الفصل الثامن (مهشم)

الفصل التاسع[١١٩]: يجتمع التاسوع الذي خرج من «نون»؛ لأنه يشاهدك أنت يا عظيمًا في الفخر، يا رب الأرباب، الذي سوَّى نفسه بنفسه، رب السيدتين ... إنه الرب.

ويضيء للذين قد ناموا لينير وجوههم في شكل آخر،[١٢٠] فعيناه تفيضان نورًا وأذناه مفتوحتان، وكل الأعضاء تغطَّى[١٢١] «بالملابس» حينما يحل ضياؤه (؟).

---

[١١٥] الشرق حيث تزرع التوابل.

[١١٦] هو القارب المقدس الذي كان يُحمل فيه «آمون» عند الاحتفال بأعياده.

[١١٧] قد يشير ذلك إلى انتصار عبادة «آمون» على عبادة «آتون» كما ستجد في عبارات أخرى في هذه القصائد.

[١١٨] منذ الدولة الحديثة كانت تنعت باسم «مدينة» فقط، وقد انتحلت هذا النعت مدن أخرى.

[١١٩] نشيد في الصباح لإله الشمس.

[١٢٠] كالشمس في يوم جديد.

[١٢١] من المحتمل ألا يكون للإله بل للإنسان.

فالسماء من ذهب (لونها)، ونون (المحيط الأزلي) من اللازورد (أزرق)، والأرض مفروشة بالتوتيا الخضراء (أي خضراء) حينما يشرق عليها[١٢٢] والآلهة يشاهدون، ومعابدهم تبقى مفتوحة، وكذلك الناس يمكنهم أن يروا ويشاهدوا بوساطته.

وكل الأشجار تتحرك في حضرته، وتتجه نحو عينه وأوراقها تفتح.

وذوات القشر[١٢٣] تقفز في الماء ... وكل الماشية تمرح أمام محياه. وكل الطيور ترقص بأجنحتها وهي تعرفه في وقته الجميل (عندما يشرق)، وهي تعيش[١٢٤] لأنها تراه كل يوم، وهي في يده مختومة بخاتمه، ولا يفتحها إله غير جلالته،[١٢٥] وليس في الوجود شيء بدونه؛ فهو الإله الأعظم، حياة التاسوع.

الفصل العاشر[١٢٦]: إن طيبة مُنَسَّقة (؟) أكثر من أي مدينة؛ فالماء والأرض فيها منذ الأزل، وأتى الرمل في الأرض الخصبة المنزرعة لينشئ أرضها على نجدها؛ ولذلك أصبحت الأرض في عالم الوجود ...[١٢٧] كل المدن موجودة في اسمها الحقيقي، وسميت باسم «مدينة»،[١٢٨] وهي تحت رعاية «طيبة» عين رع»!

ويتلو هذا سلسلة توريات عن أسماء «طيبة» وأقسامها.

الفصل العشرون[١٢٩]: كيف تسبح يا «حور أختي» وتفعل يوميًّا ما فعلته بالأمس؟! أنت يا صانع الأعوام ومنظم الشهور، والأيام والليالي تكون على حسب سيره، وأنت أكثر جدة اليوم عن الأمس ... وأنت يقظان وحدك، وإنك لتمقت الإغفاء، وكل الخلائق تنام وعيناه ساهرتان ... والذي يسبح في القبة الزرقاء ويخترق العالم السفلي. وهو الشمس في كل الطرق تقوم بدورتها أمام وجوه «الناس». وكل العالم يولي وجهه شطره، ويقول الناس والآلهة: مرحبًا بك.

---

[١٢٢] تظهر الأرض خضراء، وتظهر السماء ذهبية وزرقاء.

[١٢٣] السمك.

[١٢٤] من المحتمل أنه لا يعني الطيور، بل كل المخلوقات السابقة الذكر.

[١٢٥] أي إن إله الشمس وحده هو الذي يرزقهم.

[١٢٦] هذا الفصل يفسِّر لنا أن «طيبة» هي أقدم المدن في العالم.

[١٢٧] يشير بذلك إلى الأسطورة القائلة بأن التل الذي برز من المحيط الأزلي يقع في «طيبة».

[١٢٨] في الدولة الحديثة كان يطلق على طيبة لفظة «مدينة»، ويظن أن الأمكنة الأخرى أخذت هذا الاسم عنها بعد ذلك.

[١٢٩] هذا الفصل يقص علينا مخاطبة الشمس في رابعة النهار.

الفصل الثلاثون[١٣٠]: الحربة تطعن العدو الذي سقط بحدها الماضي ... وسفينة «الملايين» تسبح في هدوء، والنوتية يصيحون مرحًا وقلوبهم فرحة؛ لأن عدو «رب العالمين» قد هُزم. وأعداؤه الذين كانوا في السماء وفي الأرض أصبحوا لا وجود لهم. وسكان السماء وطيبة و«هليوبوليس» و«العالم السفلي»[١٣١] يفرحون بربهم حينما يرونه قويًّا في بهائه ومزوَّدًا بالشجاعة والنصر وقويًّا في صورته. أنت تفوز يا «آمون رع»! أما الأوغاد فقد هزموا وذُبُّوا بالحربة.

الفصل الأربعون: إن الإله قد فطر نفسه، ولكن صورته ليست معروفة ... وقد اندمجت بذرته في جسمه، وعلى ذلك وجدت بيضته في نفسه الخفية ...[١٣٢]

الفصل الخمسون[١٣٣]: ... شمس السماء التي أشعتها من محياك! النيل يجري من كهفه لإلهيتك الأزلية (؟)، والأرض أنشئت لصورتك. ولك وحدك كل ما يجعله «جب» (إله الأرض) ينمو.[١٣٤]

اسمك قوي وإرادتك وفيرة، والرواسي من المعدن الغفل لا تقدر على مقاومة سلطانك، يا أيها الصقر المقدس المنتشر الجناحين، السريع الذي يهزم منازله في تمام لحظة. الأسد الغامض عالي الزئير، الذي يقبض بشدة على الذين يقعون بين مخالبه، وهو ثور لمدينته، وأسد لقومه، الضارب بذيله من يعتدي عليه، وتتحرك الأرض عندما يزأر بصوته، وكل المخلوقات تخاف سلطانه، عظيم القوة، ولا شبيه آخر له.

الفصل الستون[١٣٥]: إن مصر العليا ومصر السفلى ملك له، وقد استولى عليهما وحده وبقوته، حدوده متينة ... على الأرض، وعرضها عرض الأرض أجمع، وارتفاعها

---

[١٣٠] هذا الفصل يصف لنا أن عدو سفينة الشمس «الثعبان أبوبي» قد ذبحه الإله.

[١٣١] طيبة وهليوبوليس (عين شمس) باعتبارهما مكانين مقدسين يمثلان الأرض هنا.

[١٣٢] إشارة إلى الأسطورة الموضحة التي توضح كيف خلق إله الشمس نفسه.

[١٣٣] هذا الفصل يحدثنا عن بطش «آمون» وقوته ومكانته.

[١٣٤] جميع محاصيل الأرض تقدم إليه في النهاية قربانًا.

[١٣٥] هذا الفصل يبيِّن لنا أن «آمون» أغنى الآلهة قاطبة.

كالسماء. الآلهة تستجدي أرزاقها منه، وهو الذي يعطيهم الخبز من ممتلكاته، وهو رب الحقول والشواطئ والمزارع،[١٣٦] وهو كل مساح ...

إنه الذراع الذي يقيس كُتَل الحجر، وهو الذي يمد الخيط[١٣٧] ... على ... التي أسس عليها الأرضين والمعابد والمحاريب.

وكل مدينة تحت ظله (أي سلطانه) حتى يتسنَّى لقلبه أن يمشي حيث يريد.

والناس تغني له في كل مقصورة، وكل مكان يملك حبه أبديًّا.

والجعة تصنع له في يوم العيد، ويمضي الليل في سهر، واسمه ينتشر (يدور) على السقوف، والغناء بالليل حينما يظلم الكون.[١٣٨]

الآلهة تمنح الخبز بواسطته، وهو الإله الثري، والذي يحمي ما يملك.

الفصل السبعون[١٣٩]: وهو المطهر من الأذى ومُبعد المرض، الطبيب الذي يشفي العين من غير دواء، والذي يفتح العين ويقصي عنها الحَوَل ... والمنجي من يريد، ولو كان في العالم السفلي، والحافظ من القدر كما يريد. له عينان وكذلك أذنان؛ ليسمع شكوى من يناديه ممن يحب أينما ذهب، وإنه يأتي من بعيد في طرفة عين لمن يناديه. وهو الذي يطيل الأجل ويقصره أيضًا، وهو الذي يمنح من يحب أكثر مما هو مكتوب له.[١٤٠]

إن اسم «آمون» تعويذة مائية على الفيضان، فالتمساح يصبح لا قوة له حينما ينطق باسمه، وهو ريح يحول الزوبعة المعاكسة ...

بمحيا فرح حينما ... لأنه يستعاد إلى الذاكرة وهو فم طيب وقت الهياج. وإنه لنسيم عليل لمن يناديه، ومنقذ المتعب.

---

[١٣٦] كان الإله «آمون» يملك في حكم رعمسيس الثالث خمسة أضعاف ما يمتلكه آلهة عين شمس، ٨٥ مرة ما يمتلكه آلهة «منف»؛ وعلى ذلك فإن الأشعار السابقة تذكر الحقيقة وليست للمبالغة.

[١٣٧] كان على المرتل وكاتب «كتاب الآلهة» في النقوش المقدسة أن يقوم بإدارة الاحتفالات الخاصة بوضع أسس المعبد، وقد كان ذلك يشمل وضع تصميم المعبد على الأرض بالعصي والحبال.

[١٣٨] يشير بوضوح إلى عيد ليلي تغني فيه الأهالي نشيد مدح «لآمون» وهم على سطوح منازلهم.

[١٣٩] هذا الفصل يصف «آمون» بأنه كان طبيبًا ومساعدًا لمن يلجأ إليه.

[١٤٠] إن القدر قد حدَّد لكل إنسان مدة حياته.

وهو الإله الألعي (؟) ممتاز النصائح. وهو عضد من يتكئ عليه بظهره ... وهو خير من «ملايين» لمن يثق فيه، ورجل واحد يفوق مئات الألوف باسمه، وهو في الحقيقة حامٍ طيب، وهو فاضل ينتهز الفرصة، ولا أحد يثنيه.

الفصل الثمانون[١٤١]: إن الآلهة الثمانية كانوا في صورتك الأولى إلى أن أتممت هذا أنت وحدك.[١٤٢]

إن جسمك كان خفيًّا بين العظماء، وقد أخفيت نفسك بوصفك «آمون» على رأس الآلهة، وقد جعلت صورة كينونتك مثل «تنن»؛[١٤٣] لتسوي الآلهة الأزلية في صورتك الأبدية.

وقد امتدح جمالك بوصفك «ثور أمه»،[١٤٤] وإنك تذهب بنفسك بعيدًا بوصفك قاطن السماء مقيمًا مثل «رع» ...

أنت كنت أول من وجد حينما كان العدم، والأرض لم تكن خلوًا منك في أول البدء، وكل الآلهة الذين وجدوا بعدك ...

الفصل التسعون[١٤٥]: التاسوع قد اندمج في أعضائك ... وكل إله قد اتَّحد مع جسمك. وقد ظهرت أولًا على سطح الماء؛ لتتمكن من بدء البداية، يا «آمون» الذي خفي اسمه عن الآلهة،[١٤٦] الواحد العظيم السن، الأكبر سنًّا من هذه[١٤٧] (يعني الآلهة).

أنت «تنن» الذي صور نفسه مثل «بتاح» (ثم برأ «شو» و«تفنت» بالتفل، وهذان هما أول سلسلة الآلهة الحقيقيين، وهو نفسه قد صار حاكم العالم)، على حين أنه ظهر على عرشه حسب ما أوحى به قلبه. وقد حكم على كل ما كان في ... وقد نظم مملكة الخلود إلى الأبد، مسيطرًا إلهًا واحدًا.

---

[١٤١] هذا الفصل يقص علينا أن «آمون» هو أول إله ظهر في الوجود، ومنه تناسلت الآلهة الأخرى.

[١٤٢] خلق العالم من عدم المحيط الأزلي.

[١٤٣] قد تصور «بتاح» منف في صورة إله أزلي، و«تنن» هو اسم للإله «بتاح».

[١٤٤] إله الشمس.

[١٤٥] هذا الفصل يتكلم أيضًا عن خلق العالم.

[١٤٦] تورية؛ لأن كلمة «آمون» قد تؤدي معنى الواحد الخفي.

[١٤٧] تورية مع كلمة «تنن».

وصورته قد أنارت في أول آنٍ، وكل كائن أرتج عليه من بهائه، وصاح كالصائح العظيم، وانطلق يتكلم وسط الصمت،[١٤٨] وفتح كل العيون وجعلها تبصر، وبدأ يصيح عاليًا حينما كانت الأرض بكماء؛ فانتشر زئيره ولم يكن عليها أحد غيره، وسوَّى كل كائن، وجعلهم يعيشون، وجعل كل الناس يعرفون الطريق ليذهبوا «حيث شاءوا»، وقلوبهم تحيا حينما يرونه.

الفصل المائة[١٤٩]: «آمون» الذي أتى أولًا إلى الوجود في أول آنٍ، «آمون» الذي أتى إلى الوجود في البدء، ولا أحد يعرف طبيعته الخفية، ولم يأتِ للوجود إله قبله، ولم يكن معه إله آخر، ليخبره عن صورته، وليس له أم سمته، ولا والد أنجبه، فيقول «إنه أنا».[١٥٠] وهو الذي صور بيضته بنفسه، الواحد الجبار الخفي الولادة، الذي خلق جماله بنفسه.

الإله المقدس، الذي أتى إلى الوجود بنفسه، وكل الآلهة أتت إلى الوجود بعد أن بدأ يكون.

الفصل المائتان[١٥١]: خفي الشكل، لألاء الصورة، الإله المدهش، ذو الصور العدة. وكل الآلهة تتفاخر به ليعظموا من شأن أنفسهم بجماله؛ لأنه عظيم في قدسيته.[١٥٢]

و«رع» نفسه مؤحد بجسمه، وهو الواحد العظيم الذي في «عين شمس»، وقد سمي «تنن» و«آمون» الذي خرج من «نون» ... صورته الأخرى كانت الثمانية.[١٥٣]

وهو بارئ الآلهة الأزلية، ومسوي «رع»، ومكمل نفسه «كآتوم»؛[١٥٤] إذ هما عضو واحد، هو رب الجميع، وأول من وُجد، ويقول الناس إن روحه في السماء.

---

[١٤٨] وقد أحدث أول صوت في العالم الأزلي الساكن، كما أنه طار كأوزة على الماء الأزلي، وكذلك جلب أول ضوء.

[١٤٩] هذا الفصل يفسِّر لنا أن «آمون» قد سوَّى نفسه بنفسه.

[١٥٠] حيث يعرفه كما يعرف ابنه.

[١٥١] هذا الفصل يشير إلى فكرة أن كل الآلهة جزء من «آمون».

[١٥٢] الآلهة فخورة بأنها جزء منه (أي من آمون).

[١٥٣] تورية؛ أي الثماني آلهة الذين في الأشمونين.

[١٥٤] تورية مع اسم إله الشمس (فعل كمل = توم، واسم الإله هو «آتوم»).

وإنه هو الذي في العالم السفلي، والذي يسيطر في الشرق؛ فروحه في السماء وجسمه في الغرب، وصورته في «هرمنتس»[١٥٥] تعظم ضياءه (؟).

و«آمون» هو الواحد الذي أخفى نفسه منهم،[١٥٦] والذي خبأ نفسه من الآلهة، وجوهره ليس معروفًا، وقد رفع نفسه إلى السماء وعرج بنفسه (؟) إلى «تاي»،[١٥٧] ولا يوجد إله يعرف صورته الحقيقية، وصورته ليست منشورة في كتب ...

إنه خفي أكثر مما يجب حتى يكشف عن بهائه، وعظمته فوق المعتاد حتى يتساءل الناس عنه، وقوته أكثر مما يجب حتى يعرف.

وإن الإنسان ليخر صريعًا في الحال من الفزع إذا نطق باسمه الخفي، وليس هناك إله يمكنه أن يخاطبه به (؟)، وهو صاحب الروح الخفي الاسم؛ ولذلك فإنه سر غامض.

الفصل الثلاثمائة[١٥٨]: الآلهة كلهم ثلاثة: «آمون» و«رع» و«بتاح»، ولا مثيل لهم، خفي اسمه بوصفه «آمون»، و«رع» وجهه، و«بتاح» جسمه.

مدنهم «طيبة» و«عين شمس» و«منف» باقية على الأرض إلى الأبد.

وإذا أرسلت رسالة من السماء فإنها تسمع في «عين شمس» وتكرر في «منف» إلى «حسن الوجه»[١٥٩] وتحرير خطاب بقلم «تحوت» في مدينة آمون ... يجاب عنه في «طيبة»، ويأتي الإعلان: «إنها (طيبة) تابعة للتاسوع ...» ومع ذلك ترسل رسالة أخرى: إنها ستذبح وستحفظ حية؛ فالحياة والموت إذن فيها (طيبة) لكل الناس.

وهو الواحد الأحد: «آمون»، «رع»، «بتاح»، الثلاثة معًا (أي إنهم واحد).

---

[١٥٥] أرمنت.

[١٥٦] تورية.

[١٥٧] دولة الأموات، وهي الآخرة عادة، وقد اعتُبرت هنا كالسماء.

[١٥٨] يشير هذا الفصل إلى أنه يوجد في الواقع ثلاثة آلهة، ولكنهم في الحقيقة إله واحد.

[١٥٩] أي «بتاح»، من المحتمل أن الرسالة التي أرسلت إلى «طيبة» من السماء — كما سيجيء بعد — هي ارتقاء هذه المدينة إلى مكانة العاصمة في أواخر عصر «إخناتون».

الفصل الأربعمائة: يوصف «آمون» بأنه إله التناسل الذي كوَّن أعضاء التناسل، وأول من لقح العذارى. وقد برأ نفسه أولًا حينما ظهر مثل «رع» في «نون»، وسوَّى كل كائن وما لم يكن كائنًا، أبو الآباء وأم الأمهات وثور لأولئك العذارى الأربع.[١٦٠]

الفصل الخمسمائة[١٦١]**:** إنه المُكِبُّ أعداءه على وجوههم، وليس هناك أحد يقدر على منازلته ... وأعداؤه يتلاشون أمامه. أسد غضوب ذو مخالب حادة، ملتهم قوةَ من ينازله في نهاية لحظة.

ثور ثابت الظهر، ثقيل الحوافر على عنق عدوه الذي يمزِّق صدره.

طير كاسر؛ يطير وينقضُّ على من يُنازله، وقادر على تهشيم أوصاله وعظامه ...

تهتز الجبال من تحته في ساعة غضبه، والأرض تزلزل حينما يموج ثائره (؟)، وكل كائن يرتعد فزعًا منه.

الفصل الستمائة[١٦٢]**:** الفهم قلبه، والأمر شفتاه ...

وحينما دخل الكهفين اللذين تحت قدميه نبع النيل من الصخرة التي تحت نعليه.

روحه «شو»، وقلبه «تفنت».

هو «حور أختي» الذي في السماء، وعينه اليمنى النهار واليسرى الليل.[١٦٣] إنه هو الذي يرشد البشر إلى كل طريق،[١٦٤] بطنه نون وما فيها هو النيل، بارئ كل شيء موجود، محيي ما هو موجود، ويبعث النفس في كل أنف.

إله «القدر» وإلهة الحصاد معه لكل الناس. زوجته الحقل فهو يلقحه، وبذرته هي شجرة الفاكهة، وفيضه الحَبُّ ...

---

[١٦٠] إشارة إلى أسطورة غير معروفة.

[١٦١] هذا الفصل يبيِّن لنا ما كان عليه الإله من قوة، وعدم وجود من يستطيع منازلته، كما يذكرنا بفوز «آمون» على أهل الزيغ، وسنرى ذلك فيما بعد.

[١٦٢] يفسر لنا جوهر «آمون» الطيب.

[١٦٣] أي الشمس والقمر.

[١٦٤] يمنحهم النور.

الفصل السبعمائة: يعود الشاعر مرة أخرى إلى «طيبة»، ومن القطع الباقية يمكننا أن نستخلص أن إلهة الكتابة — بوصفها كاتبة لكل التاسوع الأكبر — تحرر وصية «لطيبة».

لأن «آتوم» تكلَّم بفمه وبقلب محب، وفرحت الآلهة عند ذلك. وقد أقروا ما خرج من فم «رع» ... إن عدو «رع» قد أحرق حتى صار رمادًا، وأعطيت «طيبة» كل شيء: الوجه القبلي، والوجه البحري، والسماء، والأرض، والعالم السفلي، والشواطئ (؟)، والمياه والجبال، وما يخرج من المحيط والنيل، وكل ما ينمو على آلهة الأرض ملك لها، وكل ما تشرق عليه الشمس مَتَاع لها في سلام ... وكل أرض تدفع جزيتها بوصفها خاضعة لها؛ لأنها عين «رع» الذي لا يغلبه أحد.

(المقصود من هذا ظاهر جدًّا؛ إذ بعد سقوط «أمنحوتب الرابع» صارت «طيبة» العاصمة ثانية).

الفصل الثمانمائة: يرسو[١٦٥] الإنسان مترحمًا عليه في «طيبة»، إقليم الصدق ومكان الصمت، وأهل الزيغ لا يدخلونها؛ فهي «مكان الصدق» ...

... ما أسعد حظ ذلك الذي يرسو فيها (يموت)؛ فهو يصير روحًا مقدسة ...

(القطع التي لا تزال باقية تدل كذلك على أن جبانة «طيبة» كانت ممجدة هنا بوصفها مكانًا يمكن للإنسان أن يستريح فيه في نعيم مقيم).

(٢٠-٢) أناشيد للإله «آمون رع»[١٦٦]

الحمد لك يا «آمون-رع-حور أختي»

الذي تكلم بفمه؛ ومن ثم خلق بني الإنسان والآلهة والماشية والماعز جميعها، وكل ما يطير، وما يحط.

---

[١٦٥] أي يصل إلى دار الآخرة؛ وهذه إشارة إلى الموت.

[١٦٦] راجع: Hieratic Papyri in the British Museum 3rd Series Papyrus Iv p. 32 ff.

أنت الذي خلقت الأقطار وجزر البحر الأبيض المتوسط وأهلها قاطنون في بلادهم، وكذلك جعلت المراعي خصبة بوساطة «نون»،[١٦٧] ثم آتت أُكُلها فيما بعد، وكذلك خلقت الأشياء الحسنة التي لا حد لتعدادها لتكون رزقًا للأحياء.

وإنك راعٍ شجاع ترعاهم إلى أبد الآبدين، وبذلك أصبحت الأجسام مملوءة بجمالك، والعيون تبصر بك، وسرى الخوف منك إلى كل الناس، وقلوبهم تتطلع إليك، وإنك طيب في كل زمان، وكل بني الإنسان يعيشون بمشاهدتهم إياك.

وكل إنسان يقول إننا ملكك، يتساوى في ذلك الشجاع والجبان، والغنيُّ والفقير، بصوت واحد، وهكذا يقول كل شيء. ورقَّتك في قلوبهم، وكل إنسان يرى جمالك.

ألم تقل الأرامل «إنك لنا زوج» والأطفال «إنك لنا أب وأم»؟! والغني يتفاخر بجمالك، والفقير يتعبد إلى وجهك، والسجين يتطلع إليك، والذي أصابه المرض يناديك.

اسمك سيكون حاميًا لكل وحيد، وصحةً وعافيةً لمن يسبح على المياه منجيًا إياه من التمساح، وهو ذكرى نافعة في وقت الشدة، منجيًا إياه من فم الحمى، وكل إنسان يلتجئ إلى حضرتك ليضرع إليك.

وأذناك مفتوحتان لتسمعا وتعملا حسب رغبتهم (أي الناس)، يا إلهنا «بتاح» الذي يحب صناعته، والراعي الذي يحب رعيته، حقًّا إن جائزته هي أن يمنح القلب الذي يرتاح إلى الحق دفنًا طيبًا.

وغرامه أن يكون قمرًا في مستهله يرقص له كل بني الإنسان، والمتوسلون يجتمعون في حضرته، وسيكشف خبايا القلوب، والأشياء النامية تتحول شطرَه لتصير مزدهرة، والزنبق يفرح به.

وغرامه أن يكون ملك الآلهة في «إبت أسوت» (الكرنك)، ومحياه بهي، ومنه تنبع الحياة (؟)، ومحراب ريح الشمال ملكه، والنيل تحت أصابعه يأتي من السماء كما أمر حتى يصل الجبال، مقدامٌ في قوته، ضارٍ تحت خاتمه، (سيطرته)، وبطشه سيوجه إلى الخبيث للقضاء على العصيان.

والإنسان يشرب حسبما أمر، ويأكل الخبز حسب رغبته الحسنة، والقلوب والأجسام في قبضته ولا فرح بدونه، والسرور ملكه، والابتهاج لمن في حظوته.

---

[١٦٧] يعني النيل هنا.

وغرامه أن يكون «حور أختي» مضيئًا في أفق السماء، وكل إنسان منصرف إلى مديحه، والقلوب تبتهج به، وهو شفاء لكل العيون، وعلاج ناجع يظهر أثره في الحال، وهو مجمَّل منقطع القرين، ساحق للمطر والعاصفة.[١٦٨]

ألم تأت من حكم العالم السفلي يا «حور» الفتيَّ يا حامل الصولجان (؟) ألم تحمل فيك أمك «نوت» ليلًا ووضعتك كثور صغير؟ لقد أضأت القطرين بعينيك،[١٦٩] والمحيط العظيم (الفرات؟) مفعم بجمالك.

ألم تمض اليوم راعيًا لبني الإنسان إلى أن ارتحت في حياتك (غاب كالشمس)؟ دعنا نبتهج بك في الغرب حينما تسلمنا إلى الليل، تعالَ إلينا في حياة وثباتٍ وقوة حتى تسمع شكايتنا.

إن أمك يا «آمون» هي الصدق، وهي ملكك الوحيدة الفريدة (أي الصدق)، وإنها خرجت منك[١٧٠] وثار ثائرها لتقضي على من يهاجمك، إن الصدق فريد يا «آمون» يعلو كل إنسان وجد.

[من هذه النقطة نجد أن كل مقطوعة تبتدئ بصيغة تعجبية تكرر غالبًا ثلاث مرات يتخللها نداء] ما أعظم ارتياحك، ما أعظم ارتياحك! يا «آمون» ما أعظم ارتياحك! لقد سرك أن تعمر القطرين، لقد نظمت علية القوم، وثبتت البلاد حسب أمرك الصائب، إنك واحد راضٍ.

ما أعظم حرارتك،[١٧١] ما أعظم حرارتك! يا «آمون» ما أعظم حرارتك! إنك صبور، وبك تخلق الحياة، والطيش بعيد عن جلالتك، وسيكون على الأرض وارثون.

ما أطيبك، ما أطيبك! يا «آمون» ما أطيبك! إنك طيب لكل إنسان، أنت أيها الراعي الذي يفهم الرحمة، والسامع لصياح كل من ينادي، ومن يستميل القلب، وجاعل نفس الحياة يأتي.

ما أجملك! إنك في سلام لأنك أتيت بكل بني الإنسان إلى الوجود، والدنيا هي جزيرتك الجميلة، والشر والعنف قد سَقَطَا.

---

[١٦٨] يظهر من هذه الكلمات الأخيرة أن «شفاء» و«علاج» و«مجمَّل» مستعملة هنا مجازًا، وأن الإشارة الحقيقية هنا هي لإله الشمس بوصفه متغلبًا على الجوِّ الرديء.

[١٦٩] الشمس والقمر: فالعين اليمنى هي النهار والعين اليسرى هي الليل.

[١٧٠] لقد جعل المؤلف هنا الصدق أمَّ الإله وابنته.

[١٧١] المقصود هنا الحرارة الطبيعية التي تسبب الخصب والنماء؛ لأنه هنا يعتبر إله الشمس.

ما أجملك إلهًا! إن «آمون» هو «حور أختي» مدهش، سابح في السماء، حاكم على أسرار العالم السفلي، والآلهة يأتون أمام وجهك (؟)، ويتمدحون بالصور التي تقلبت فيها؛ فلتُضئْ من جديد على يدي «نون»، وأنت خفي في صورة «خبرى»،[١٧٢] وواصل إلى أبواب «نوت»،[١٧٣] وجميل في جسمك، وأشعتك تبشر بك في أعين الأقطار، وجزر البحر الأبيض المتوسط.

وسكان العالم السفلي يتعبدون حولك، والأحياء يخرون سجدًا عند إشراقك، وأهل الشمس يرقصون أمام وجهك.

وعامة القوم وعليتهم يمدحونك، والماعز والماشية تتطلع إليك، والأشياء الطائرة تنطلق عاليًا نحوك، وكل النباتات النامية تلتفت إليك لجمالك، ولا حياة لمن لا يراك.

ما أشجعك، ما أشجعك! يا إلهنا «رع» ما أشجعك! لقد حكمتَ العالم السفلي، ووهبت ساكنيه الحياة، واستجبت لشكايات المتعبين[١٧٤] فيه.

ما أشجعك، ما أشجعك! يا إلهنا يا «رع» ما أشجعك! بإشراقك في الصباح أنرت المحيط،[١٧٥] لقد أيقظت كل الأشياء التي أتت إلى الوجود، ولقد فَتَحْت سُبلها بوصفك راعيهم، ولقد بعثتَها إلى الحياة مرة ثانية؛ لأنك حاميهم.

ما أشجعك، يا إلهنا يا «رع» أنت يا رب السماء! وأنت أيها الراعي الذي يعرف كيف يكون راعيًا، أليست أذناك تميلان إلى قلوبهم؟ وإرشادك (؟) في كل جسم، وبطشك متيقظًا لكل سيئ النية، وليس هناك شيء تجهله على الأرض.

ما أقدسك في الغرب يا «رع» يا رب السلام! لقد فتحتَ أبواب «مِسْكِتْ»،[١٧٦] بينما أصبح «حور» منتصرًا، و«وننفر» (أوزير) مفعم بالفرح، وأرباب العالم السفلي في عيد، والأرض الصامتة في حبور بأشعتك الجميلة (عالم الموتى).

ما أقدسك في الغرب، أنت يا من يُفني الأبدية، والشكاوى تجمع إليك! أنت يا قاضي الصدق، أنت يا أيها الإله العظيم، حاكم «البوابة»، يا من تميل إلى من يناديك، وعندما

---

[١٧٢] اسم للشمس في الصباح.

[١٧٣] السماء.

[١٧٤] المتوفِّين.

[١٧٥] يقصد هنا الماء الذي يحيط بالعالم؛ أي «نون».

[١٧٦] إقليم في السماء، ربما كان الأفق.

ينبثق فجر النهار يكون قد أفنى الأعداء الناهبين، فلا يجعل لهم وجودًا، وهو يأمر بأن يحكم الصدق في أرض الجبانة.

ما أقدسك في الغرب، أنت أيها الراعي الذي يعرف كيف يكون راعيًا! لقد وضعت السيادة على كل عين، وأعدت قاعاتهم السرية (؟)، وقد صارت قوتك حمايتهم، وأنت الذي عمله لا يخيب قطُّ، وكل الناس الذين استولى عليهم الإغماء تعود إليهم الحياة «ثانية» عند شروقك.

ما أجمل شروقك في الأفق! فإننا نكون في حياة متجددة! لقد دخلنا في «نون»،[١٧٧] وتجدد الإنسان كما كان في الأول طفلًا، فالواحد يخلع والآخر يلبس،[١٧٨] إنا نمجِّد جمال وجهك، ابحث عن الطريق وأرشدنا إليها؛ حتى نتمكَّن من حسبان كل يوم.

[ما أجمل] شروقك يا «رع»! إنك البارئ الذي يخلق السيادة، والملتفت إلى صوت كل من يصيح، بج أنت من … والراعي قد وضع أمامه إلى أن وصل إلى المعبد (؟).[١٧٩]

ما أجمل إشراقك يا «رع» يا ربي! يا من يعمل راعيًا في مراعيه، والإنسان يشرب من مائه! تأمل، إني أتنفس من الهواء الذي يمنحه، وهو مالك الحياة التي تذهب سويًّا مع حمايته (؟) إلى كل فرد يتلف حولك (؟).[١٨٠]

ما أجمل شروقك، يا أيها الراعي العظيم! تعالَيْ جمعاء أيتها الماشية، تأملي! إنك تمضين اليوم في المراعي تحت حراسته، وقد أبعد عنك كل أذى، إنه يغيب في سلام إلى أفقه وأراضيكم …

ما أجمل إشراقك يا «رع»! إنك تجعل اللصوص يرتدون، وهاتان العينان تنظران وتبكيان (؟) … ليل نهار في الأراضي، والأرض الصامتة … صانع الجمال، ألم تضئْ وبذلك تنبعث الحياة …؟

ما أجمل إشراقك يا «رع»، أيها الراعي المحبوب! … والماعز والماشية والطيور تصيح له … مصر، ونوره الجميل يأتي إلى الوجود (؟).

---

[١٧٧] الظاهر أن الفكرة في ذلك هي أن مصير الإنسان يتبع إله الشمس الذي يدخل في «نون» (محيط العالم السفلي) ليلًا ثم يولد ثانية طفلًا ممتلئًا حياةً في الصباح.

[١٧٨] أي إن الرجل المسنَّ يلقى به في عالم الآخرة، والصغير يلبس؛ ليكون في الحياة الدنيا.

[١٧٩] المعنى غامض.

[١٨٠] المعنى غامض.

[والظاهر أن معظم بقية الورقة قد مزقت قصدًا أو اتفاقًا.]

هذه الأناشيد التي ترجمناها لها أهمية خاصة؛ إذ إنها تساعدنا على تكوين رأي عن الميول الدينية في «عصر الرعامسة»، وبخاصة عن فكرة التوحيد، والواقع أن هذه الأناشيد في جملتها تشبه أناشيد ورقة «ليدن» التي سميناها قصائد عن «طيبة» وإلهها (رقم ٣٥٠)؛ إذ نجد في هذه الورقة أن «آمون-رع» قد ذُكِر باسمه الشائع هذا مرة واحدة، وإن كان هو الإله الوحيد الذي كان يقصد المؤلف تبجيله والإشادة به، وقد ذكر غير مرة باسم «آمون» فحسب أو باسم «رع».

ولا غرابة في أن نراه يذكر في بعض الأحيان في أنشودة «ليدن» باسم «حور أختي» و«آتوم»؛ لأنه كان يمثل إله الشمس، ولكن الذي يلفت النظر هو أنه قد وصف في حالتين بأوصاف «بتاح» بصفة قاطعة.

وهذه المميزات تظهر لنا ثانية في الورقة التي نحن بصددها؛ إذ نجد أن اسم «آمون-رع» لم يذكر إلا مرتين، على حين أن الاسم المركب «آمون-رع-آتوم-حور أختي» يظهر من سياق الكلام أنه يدل على اسم إله واحد، وأن الإشارات الأخرى إلى «آتوم» و«حور» و«حور أختي» ليست إلا مجرد مسميات لإله واحد مسيطر، وقد سمي هذا الإله «بتاح» عندما نعت بأنه الصانع العظيم، كما أنه ينعت بالنيل عندما يتخذ صفات الإله «جَعبي» (النيل)، ولكن رغم كل ذلك فإن أعظم مظهر له هو الشمس؛ إذ إنها إذا غابت انحلَّت قوى بني الإنسان وماتوا، وإذا أشرقت انتعشت كل المخلوقات، والواقع أن الحياة بدون شروق الشمس تصبح مستحيلة.

وقد استمرت الصور الخرافية القديمة عن إله الشمس تذكر في هذه الأنشودة؛ فهو يسبح في السماء في سفينة ويرسل لهيبَه على الثعبان «إبوبي»، هذا إلى أن الإلهة «نوت» — ربة السماء — تحمل فيه ليلًا ويُولد كل صباح في شكل ثور صغير، ولكن إذا كان له جسم سماوي ظاهر نهارًا فإنه أثناء الليل يحكم في العالم السفلي، وهو كذلك يعتبر كإله القمر، ويسر سرورًا خاصًّا في أن يظهر نفسه هلالًا، وربما كان ذلك إشارة إلى «خنسو» إله «طيبة».

ونجد كذلك في هذه الأنشودة إشارة إلى الإلهة «موت» المكملة لثالوث «طيبة»؛ فهي أم هذا الإله المتلوِّن كالحرباء،[١٨١] وكذلك نجد في فقرة أن «إلهة الصدق» قد اعتبرت أمًّا

[١٨١] أعني بذلك المتعدد الصور.

وأختًا له، وقد أشرنا سابقًا إلى أن «نوت» إلهة السماء قد حملت فيه، وقد ذكرت معه عدة آلهة أخرى، غير أنها تلعب دورًا ثانويًّا، وقد جيء بذكرها هنا لتمجيد الإله الأعظم.

وقد ذكر «آمون-رع» في هذه الأناشيد بوصفه إلهًا نافعًا، وقد اتصف بأنه راعٍ طيب مرارًا وتكرارًا، وأنه أقرب الأقرباء إلى بني الإنسان، والحيوان والنباتات من مخلوقاته.

وهو الذي يحفظ كيان الحياة ويمد الإنسان بأرزاقه؛ ولذلك تعبده الطبيعة كلها، وهو عدو قاسٍ للثائر والخبيث، وهو يمنح كل من يواليه الفرح والسرور، وهو قاضٍ مسيطر عادل، وأذناه مفتوحتان لتسمعا الشكايات.

على أن أكبر ظاهرة تسترعي النظر في هذه الأناشيد هي التأكيد الذي يُظهره بأنه «رب الكون»، ولا يغرب عن ذهن أي قارئ أن يرى بشكل بارز كثرة ورود التعبيرات «كل واحد» و«كل إنسان» و«كل بني الإنسان».

وكما أنه لا يفرق بين الفقير والغني فإنه كذلك يمد سلطانه على الأجانب خارج الحدود المصرية. وقد ذكر أهل البحر الأبيض المتوسط ثلاث مرات.

وأظن أن ما ذكرناه كافٍ لبيان أن فكرة الوحدانية قد عبِّر عنها في أناشيد «آمون رع» التي على ورقة «ليدن» جنبًا إلى جنب مع فكرة تعدد الآلهة التقليدية في الديانة المصرية، وليس هناك تضارب ظاهر في التعبير عن هاتين الفكرتين[١٨٢] في متن واحد.

ولا شك في أننا نشاهد هنا تأثير فكرة التوحيد التي ظهرت في «تل العمارنة»، ومع أنها قد أُخمدت بكل شدة وعنف إلا أنها قد تركت أثرها في أذهان القوم.

(٢٠-٣) من صلوات رجل اضطهد ظلمًا[١٨٣]

لقد وجد مكتوبًا على استراكا لمدرس عدة أناشيد طريفة، في قبر «رعمسيس التاسع»، ومن بين هذه الأناشيد أربعة لها طابع خاصٌّ تدل على أن كاتبها مؤلف واحد. وهي — كما سنرى — تبتدئ بمديح طويل للإله، وفي النهاية تلتمس مساعدته على عدو قوي

[١٨٢] وهذا يطابق ما نشاهده عند عامة الشعب الجهال؛ فإنهم يعتقدون بوحدانية الله ولكنهم في آنٍ واحد يتوسَّلون إلى أولياء الله معتقدين أنهم ينفعون أو يضرون.

[١٨٣] راجع: A. Z. XXXVIII pp. 19 ff.

قد حَرَم المؤلف غدرًا وظيفته. فالله هو الذي يقاوم هذا العدو؛ لأنه هو «القاضي العادل، الذي لا يقبل الرشوة»؛[١٨٤] ويقول لربه: إنك تساعد المحتاج، ولكنك لا تمد يد المساعدة للقوي. هدئ روع التعس يا أيها الوزير، واجعله في حظوة «حور[١٨٥] القصر».

وقد يكون هذا الرجل الذي نسخ التلميذ شعره هنا مع أشعار ترجع إلى عصر «رعمسيس الثاني»، رجلًا شهيرًا من حملة الأقلام، وربما كان شاعرًا من المغضوب عليهم.

لإله الشمس

جميل استيقاظك أنت يا «حور» الذي يسبح في السماء ... أنت أيها الطفل الناري ذو الأشعة الساطعة، الماحي الظلام والدجى، الطفل النامي الجسم (؟)، والحلو الصورة الجالس في عينه،[١٨٦] الموقظ جميع الناس على فُرُشِهم، وما تمشي على بطنها في (أجحارها).

إن سفينتك تواصل دورتها في مياه «نسرسر»،[١٨٧] وتسبح على القبة الزرقاء في ريح رخاء، وبنتا النيل تحطمان الثعبان[١٨٨] من أجلك، وإله «أمُبس»[١٨٩] يرميه بنباله، والإله «جب» يقف شاهدًا (؟) على عموده الفقري والإلهة «سركت» ... على حنجرته، ونفثات هذه الحيات النارية تحرقه، وبخاصة ما كان منها على باب[١٩٠] بيتك. والتاسوع الأعظم يتقد غضبًا عليه، وما أكثر سروره حينما يفرى قطعًا. وأولاد «حور»[١٩١] يقبضون على المدية ليثخنوه جراحًا (؟). آه! إن عدوَّك قد سقط، والحق يقف ثابتًا أمامك.

---

[١٨٤] كان الإله يعتبر أنه وزير، كما أنه يعتبر القاضي الأكبر.

[١٨٥] الملك.

[١٨٦] ما يقصد من ذلك قد فسر بتمثيل إله الشمس لطفل جالس في وسط قرص الشمس.

[١٨٧] مكان خرافي.

[١٨٨] الثعبان «أبوبي» الذي يهدد الشمس، أما بنتا النيل فغير معروفتين لنا.

[١٨٩] «ست» الذي لا يعتبر هنا كائن شرير، وأمبُس هي مدينة «كوم أمبو».

[١٩٠] يعلو البوابات غالبًا صف من الحيات التي تحميها.

[١٩١] أربعة كائنات برأها «حور» لحماية «أوزير».

وعندما تحول نفسك إلى «صورة» «آتوم» تعطي يدك أرباب العالم السفلي،[١٩٢] والذين ينامون[١٩٣] يعبدون جمالك، ويجتمعون كلهم حينما يسطع نورك في وجوههم. وهم يتحدثون إليك بما يرغبون؛ لتضمن لهم أن يروك مرة أخرى. وعندما تغيب عنهم يداهمهم الظلام وكل إنسان يصيح ثانية في تابوته.

إنك رب يجد الناس فيه فخرهم، إله جبار أبدي، قاضٍ بين الناس، ومتزعِّم قاعة القضاء، مثبت العدل ومهاجم الظلم، ليت من تعدى عليَّ يُقتصُّ منه. انظر إنه أقوى مني، وقد اغتصب مني وظيفتي وأخذها زورًا. أعدها إليَّ ثانية! انظر إني أراها في يدي آخر ...

نفس الموضوع

أنت يا أيها الواحد السامي الذي لا يُعرَف مجرى سيره، ما أشد خفاء ذاتك! الواحد السامي المختلف الألوان (؟)، الذي يمنح النور بعينيه المقدستين،[١٩٤] وحينما يغيب تظلم الأرضان. أيها القرص الجميل ذو النور المضيء الذي يمحو الظلام، الصقر العظيم ... الباشق المخترق السماءين، والسائح على السماء السفلى إلى نهاية طولها وعرضها، ولا ينام قط في طريقه. وعندما يطلع الفجر يظهر ثانية في مكانه. كالواحد المضيء الذي لا يعلم سيره أحد. وما أشد خفاءه عندما يحل الظلام! ذلك الظلام الذي يطمس الوجوه![١٩٥] أنت أيتها الشمس السامية ذات الضوء الأبيض، والتي بأشعتها يرى بنو الإنسان، والتي في أنفها نفس الحياة ...[١٩٦] والناس يحيون ويموتون بإشارة منه، وهو الذي يجعل الأنف المغلق يتنفس ثانية، وكذلك يفعل بالحناجر الجافة حسب إرادته، ولا أحد يعيش بدونه، وكلنا قد ولدنا من عينه.[١٩٧]

---

[١٩٢] الموتى الذين تزورهم الشمس أثناء الليل في العالم السفلي.

[١٩٣] الموتى.

[١٩٤] الشمس والقمر.

[١٩٥] عندما لا يمكن رؤية أحد.

[١٩٦] يعتبر الأنف موضع التنفس والحياة.

[١٩٧] هناك خرافة تقول إن بني الإنسان نشئوا من دموع عين الشمس، وأن الإلهين الأولين — وهما «شو» و«تفنت» — قد نشآ من تفلة الإله «رع» وعطسته.

امدُد إليَّ يدك وساعدني ... أيها القاضي الذي لا «يأخذ» «رشوة (؟)» ...

«إلى أوزير»

الحمد (؟) لك يا باسطًا ذراعيه[١٩٨] ونائمًا على جانبه. أنت يا مضطجعًا على الرمل، يا رب الخصب، أيتها المومية ذات العضو الطويل! ...

إن «رع-خبر» يضيء على جسمك حينما تنام مثل «سوكار»؛[١٩٩] ليمحو الظلام الذي على جسمك ويضع النور لعينيك، إنه يقف جامدًا (؟) حينما يشرق على جثتك وينعاك ...

الأرض على كتفك، وأركانها (؟) عليك حتى عمد السماء الأربعة؛[٢٠٠] فإذا تحركتَ زُلزلت الأرض ... والنيل يفيض من عرق يديك، وأنت تبعث هواء حنجرتك في أنوف الناس ... الأشجار والكلأ واليراع، و... والشعير والحنطة وشجرة الفاكهة.[٢٠١]

فإذا حفرت البحيرات ... البيوت والمعابد أقيمت، والجبال سحبت، والأرض زرعت، والقبور والجبانات حفرت؛ فهي عليك وأنت الذي صنعتها، وكلها على ظهرك. ويوجد منها كثير أعظم، مما لا يمكن تدوينه وليست هناك صحيفة تسعه (؟)، وكلها موضوعة على ظهرك، ولست بقائل «إني مثقل بالحمل أكثر مما يجب.»

أنت والد الإنسانية وأمها؛ فهم يعيشون بنفسك، «ويأكلون» من لحم جسمك «الإله الأزلي» اسمك:

عندي ... في ذلك الذي تعرفه ...[٢٠٢]

---

[١٩٨] الإله المتوفى يستيقظ على الرمل حيث تُدفن الموتى.

[١٩٩] إله الموتى القديم في «منف».

[٢٠٠] من هذه النقطة وما يليها نجد أن الفكرة عن «أوزير» غير عادية؛ إذ يظن فيه أنه راقد على الأرض كأنه هو الأرض نفسها. والماء والهواء مشتقان منه.

[٢٠١] نحن مدينون له بالشكر من أجلها أيضًا.

[٢٠٢] وكذلك ما يلي هنا فيه إشارة عن الشاعر نفسه، ولكن لا يظهر بأنها شكايته العادية.

(٢٠-٤) أناشيد قصيرة وصلوات

هذه القصائد القصيرة قد وصل إلينا معظمها من تمارين تلاميذ المدارس، ونشاهد أن كثيرًا من الهموم التي يتألم منها الشاعر، والمطامح التي يتطلع إليها يضعها أمام الآلهة وهي تتفق مع أصلها. وسأجعل المحل الأول للقصائد التي يخاطب بها «الزميل السماوي» و«حامي الكُتَّاب» «تحوت».

صلاة «لتحوت»[٢٠٣]

تعال إليَّ يا «تحوت»، أنت يا «أبيس»[٢٠٤] الفاخر، أنت أيها الإله الذي ترنو إليه الأشمونين، يا كاتب خطابات التاسوع، والواحد العظيم في «أونو».[٢٠٥] تعال إليَّ لترشدني وتجعلني ماهرًا في صناعتك، وصناعتك أجمل من كل الصناعات، إنها تجعل الناس عظماء. وقد وُجدَ أن من يحذقها يصبح مشهورًا، وإنك تقوم لهم بأعمال كثيرة، وهم من أعضاء مجلس الثلاثين.[٢٠٦] إنهم أقوياء وأشداء بما تفعله أنت، إنك أنت الذي تهتم بمن ليس له ... وإله القدر وإلهة الحصاد معك.[٢٠٧]

تعال إليَّ، واهتم بأمري، إني خادم بيتك، واجعلني أتحدث عن أعمالك العظيمة في أي أرض أحلُّ بها.

وسيقول السواد الأعظم من الناس: «إن التي أنجزها «تحوت» أشياء عظيمة.»

وسيأتون بأطفالهم ليَسِمُوهم[٢٠٨] بِسِمَة خدمك.

إنها حرفة نافعة يا أيها المخلص (؟) القوي. وسعيدٌ من يحترفها.

---

[٢٠٣] Pap. Anastasi V. 9.2 ff.

[٢٠٤] تحوت يمثل بشكل الطائر «أبيس» (أبي قردان).

[٢٠٥] هذه أيضًا هي «هرموبوليس» مدينة «تحوت» (الأشمونين الحالية).

[٢٠٦] أرقى الموظفين.

[٢٠٧] إن عندك زادًا وأرزاقًا.

[٢٠٨] كالماشية أو الأرقاء.

صلاة «لتحوت»[٢٠٩]

إيه يا «تحوت»! ضعني في «هرموبوليس» (الأشمونين)، في مدينتك حيث الحياة لذيذة![٢١٠] أنت تمدني بما أحتاج إليه من خبز وجعة، وتحرس فمي عند الكلام.

ليت «تحوت» يكون ورائي غدًا[٢١١] (يوم الحساب)، تعالَ إليَّ حينما أدخل أمام «أرباب الصدق» (محكمة العدل)، وبذا سأخرج بريئًا. وأنت يا شجرة الدوم العظيمة التي ذَرْعُها ستون ذراعًا، والتي تحمل فاكهة، في فاكهتها أحجار، وفي أحجارها ماء.[٢١٢] وأنت يا من تأتي بالماء إلى المكان البعيد. تعالَ إليَّ ونجِّني، أنا الرجل الصامت.[٢١٣] أنت يا «تحوت» أيها البئر العذبة للظمآن في وسط الصحراء! فهو مغلق لمن يجد كلامًا يقوله (الثرثار)، ومفتوح لمن يلزم الصمت، وإن الرجل الصامت يأتي ويجد البئر، والأحمق «يأتي» والبئر مملوءة بالأحجار؛[٢١٤] (أي لا يجد ماءً).

صلاة إلى صورة من صور «تحوت»[٢١٥]

نصب الكاتب تمثالًا صغيرًا في بيته للإله «تحوت»، وهو الإله الحامي للعلماء، وأخذ الآن يرحب بهذه الصورة، وهي تمثله في شكل قرد يجلس القرفصاء، كما يمثل هذا الإله بهذا الوضع كثيرًا.

«الحمد لك أنت يا رب البيت، أيها القرد ذو الشعر الأبيض والصورة اللطيفة والطبع الرقيق المحبوب من كل الناس. إنه مصنوع من حجر «سهرت» «وهو تحوت»؛ ليضيء

---

[٢٠٩] Pap. Sallier. 1. 8. 2 ff.

[٢١٠] أيريد حقيقة أن يذهب إلى الأشمونين أم يقصد المعنى المجازي؟ يكون بيد المخلصين في صناعتك؛ أي صناعة الكتابة.

[٢١١] يوم الحساب الذي لم يأتِ بعد.

[٢١٢] حسب ما يلي يكون المعنى أن إنسانًا يتحرَّق عطشًا ينجي نفسه بعصارة هذه الأحجار.

[٢١٣] الرجل المتواضع الذي يثق تمام الثقة بربه.

[٢١٤] بالحصى والرمل.

[٢١٥] Pap. Anastasi. III. 4. 12. ff.

الأرض بجماله، وما على رأسه من العقيق الأحمر، وقُبُلُه من الكوارتز،[٢١٦] وحبه يثب على حاجبيه، ويفتح فاه ليمنح الحياة،[٢١٧] وإن بيتي لفي سعادة منذ دخله الإله، وإنه يثري وقد أصبح فاخر الأثاث منذ وطأته قدم مولاي.

كونوا سعداء يا أهل حيي، وانعموا يا أقاربي جميعًا. انظروا! إنه ربي هو الذي صنعني؛[٢١٨] حقًّا إن قلبي يتوق إليه.

إيه يا «تحوت»! إذا كنت تصبح حاميًا لي فلن أخاف العين.»[٢١٩]

صلاة إلى «رع»[٢٢٠]

تعال إليَّ يا «رع-حور-أختي» لتعنى بي، إنك أنت الفعال، وليس أحد سواك يفعل شيئًا، إنك أنت فحسب الذي يفعل كل شيء.[٢٢١]

تعال إلى يا «آتوم» ...! إنك أنت الإله السامي، وإن قلبي يتطلع نحو «عين شمس». وقلبي سعيد، ولُبِّي منشرح.

إن التماساتي تُسمع، وكذلك تضرعاتي اليومية (لديك)، وإن صلواتي بالليل وأدعيتي التي لا ينفك فمي يرددها تُسمع اليوم.

أنشودة استغفار إلى «رع»[٢٢٢]

أنت أيها الواحد الأحد! يا «حور-أختي» المنقطع القرين! حامي «الملايين»، ومنجي مئات الألوف، ومخلص من يناديه، رب «عين شمس».

---

[٢١٦] يحتوي هذا التمثال على أنواع ثلاثة من الحجارة نصف الكريمة، وقد اختيرت بدون أي مراعاة للون الحيوان الطبيعي، وإلا لما كان قرص القمر الذي على رأسه أحمر اللون.

[٢١٧] المقصود هنا الإله وليست صورته.

[٢١٨] أي يمنحني الفَلاح والتقدم.

[٢١٩] أي الحسد.

[٢٢٠] Pap. Anastasi II. 10. 1 ff.

[٢٢١] المعنى المحتمل: كل الآخرين يساعدون بالكلام فحسب.

[٢٢٢] Pap. Anastasi, IV, 10, 5, ff,.

لا تعاقبني من أجل ذنوبي الكثيرة؛ إنني شخص لا يعرف نفسه (؟)، إنني رجل لا حيلة له؛ إذ أتبع فمي[٢٢٣] طوال اليوم كالثور الذي يتبع علفه، وعند المساء ... فإنني فرد يأتي إليه ما يرطب.[٢٢٤]

إني أجول طوال اليوم في ... البيت وفي الليل ...

صلاة إلى آمون لترقية المدرس[٢٢٥]

ليتك تجد «آمون» يفعل كما ترغب في ساعة رضائه، وأن تحمد بين العظماء والمخلدين في مكان العدل![٢٢٦] إيه يا «آمون»! إن نيلك المرتفع يطفر على التلال، وهو رب السمك، زاخر بالدجاج، وكل الفقراء راضون.[٢٢٧] ضع العظماء في أماكن العظماء، ضع كاتب بيت المال «كاجابو» أمام «تحوت» كاتبك (؟) للعدل.

صلاة إلى «آمون»[٢٢٨]

تعال إليَّ يا «آمون»، وخلِّصني من سنة البؤس هذه؛ فقد حدث أن الشمس لا تطلع، وقد أتى الشتاء كأنه الصيف، وانعكست الأشهر (؟) واختلت الساعات.[٢٢٩]

فالعظماء ينادونك، والصغار يلجئون إليك، ومن هم في أحضان مرضعاتهم يقولون: «امنح نفس «الحياة» يا آمون.»

---

[٢٢٣] المعنى: أني أفكر في طعامي فحسب.

[٢٢٤] المعنى: عطفك.

[٢٢٥] Pap Anastasi IV 10 5 ff.

[٢٢٦] نعت للجبانة.

[٢٢٧] المعنى: بما أنك تَهَبُ نعمًا كثيرة على الجميع، فاعمل شيئًا كذلك إلى معلمي.

[٢٢٨] Pap Anastasi IV 10 7 ff.

[٢٢٩] ربما يقصد بذلك حالة جوية غير عادية.

وعندئذ قد وجد أن «آمون» أتى بسلام بالنسيم العليل أمامه. وقد جعلني أصير جناح عقاب.[٢٣٠] ولما كانت ... فتحدث عن القوة للراعي في الحقل والغسالين على شاطئ النهر، وللماتوي[٢٣١] الذين يأتون من الإقليم، للغزلان في البراري.[٢٣٢]

أنشودة إلى «آمون» بعد فوزه[٢٣٣]

هذه الأنشودة التي لها أهمية خاصة؛ لأنها تهاجم زيغ «إخناتون» قد حُرِّفت كثيرًا على يد التلميذ الذي كان مكلفًا بنسخها، فأصبح لا حيلة لدينا إلا الظن عند تفسير معنى كثير من أبياتها.

«آمون» أيها الثور! أنت يا عجل البقرة (؟) السماوية والنائم في حظيرة ... وحينما يفتح عينه تضيء الأرض.

أنت تجد من ينتهك حرمتك ... الويل لمن يهاجمك! إن مدينتك باقية، «ولكن» من هاجمك يهزم. اللعنة على من يهاجمك في أي أرض!

يا «آمون» أنت صاري «سفينة» المزدوج الذي يتحمل كل ريح، والذي ... من نحاس ... ولا يهتز أمام نسيم الشمال ...

«آمون» أيها الراعي الذي يرعى أبقاره مبكرًا، والذي يسوق المريضة (؟) منها إلى المرعى! إن الراعي يسوق الماشية إلى المرعى، إيه يا «آمون»! وهكذا تسوق أنت المرضى (؟) إلى أرزاقهم؛ لأن «آمون» راعٍ ليس بالكسلان.

«آمون» أيتها «البوابة» النحاسية![٢٣٤] (؟) إنه يمنح ثوابه في حينه، وشمس الذي عرفك لم تغب يا «آمون». ولكن الذي يعرفك يضيء، وساحة الذي يهاجمك في ظلمة،[٢٣٥] على حين أن جميع الأرض تكون في ضوء الشمس، ومن يضعك في قلبه يا «آمون» تشرق شمسه.

---

[٢٣٠] ربما كان في ذهنه جناحا العقاب اللذان كانت تروخ بهما «إزيس» على «أوزير».

[٢٣١] قوم في شمال بلاد النوبة كانوا يعملون جنودًا مرتزقة.

[٢٣٢] يحتمل أن يكون المعنى: كل الأشياء الموجودة تتحدث عن سلطان «آمون».

[٢٣٣] Brit. Mus. Ostracon, 5656, A. Z. XIII p. 106.

[٢٣٤] يتخيل كأنه مكان العدل الذي تقرر فيه مسائل الثواب والعقاب.

[٢٣٥] مباني الملك الزائغ، خصوصًا ما يوجد منها في تل بني عمران.

أنت أيها النوتي الذي يعرف المياه! «آمون أيها المجداف المحرك ... أنت أيها الواحد المجرب الذي يعرف المكان الضحضاح، والذي يُتاق إليه على الماء، وإن «آمون» يكون حاضرًا حينما يتطلع إليه إنسان على الماء.

«آمون» أنت يا إله القدر،[٢٣٦] وإلهة الحصاد، الذي فيه ... كل الحياة! إن الذي لا يعرف اسمك يصيبه الويل كل يوم.

يا «آمون» أنا أحبك (؟) وأثق فيك ... إنك ستخلصني من فم الإنسان في اليوم الذي يقول فيه الكذب، أما رب الآلهة فإنه يعيش على الصدق ... أنا لا أستسلم للهم الذي في قلبي، وما قاله «آمون» سيحدث.

صلاة إلى «آمون» بوصفه القاضي العادل[٢٣٧]

أنت يا «آمون-رع» يا أول من كان ملكًا! يا أيها الإله الأزلي! يا وزير الفقراء[٢٣٨] الذي لا يأخذ مكافأة من غير حق، ولا يتحدث إلى من لا يأتي بشاهد، ولا ينظر إلى من يعطي الوعود! (؟) إن «آمون» يقضي في الأرض بإصبعه،[٢٣٩] ويتكلم إلى القلب،[٢٤٠] ويجعل مصير المذنب النار[٢٤١] والمحق الغرب.

صلاة إلى «آمون» في المحكمة[٢٤٢]

يا «آمون»، أعر أذنك إلى فرد واقف وحده في المحكمة فقير، و«خصمه» غني، المحكمة تظلمه بالفضة والذهب إلى كتاب الحساب! والملابس إلى الحجاب.[٢٤٣]

---

[٢٣٦] أي عندك زاد.

[٢٣٧] Pap. Anastasi, II. 6. 5. ff.; Pap Bologna 1094 2. 3 ff.

[٢٣٨] هو أحسن من الموظفين الدنيويين الذين يضطهدون الفقراء.

[٢٣٩] إشارة من إصبعه كافية.

[٢٤٠] أي كلماته تذهب إلى القلب، والمعنى المحتمل: أن الإنسان لا يسمعها بل يعرفها.

[٢٤١] حرفيًّا: إلى مكان نزول الشمس حيث يحرق الشرير. والغرب هنا معناه الجنة حسب أحد المذاهب المصرية.

[٢٤٢] Pap Anastasi II 8 5 ff.

[٢٤٣] هذه هي الرشوات التي يطلبونها.

غير أنه عرف أن «آمون» يحول نفسه إلى الوزير؛[٢٤٤] ليجعل الرجل الفقير ينتصر، وقد وجد أن الرجل الفقير قد أنصف، وأن هذا الفقير قد تفوَّق على الغني.

أنت أيها النوتي الذي يعرف الماء! «آمون» أيها المجداف المحرك ...[٢٤٥] الذي يعطي الخبز من ليس عنده، وكذلك يغذي خادم بيته.

أنا لا أتخذ لي عظيمًا ليحميني في كل ... ولم أضع ... تحت سلطة إنسان ... ربي هو حاميني.

أنا أعرف واحدًا قويًّا، وإنه حامٍ قوي الساعد، وهو وحده القوي.

أنت يا «آمون» الذي يعرف الخير (؟) أنت ... من يناديه. «آمون» يا ملك الآلهة، أنت أيها الثور القوي الساعد ومحب القوة!

من لوحة تذكارية[٢٤٦]

مؤلف هذه القصائد القصيرة هو المصور «نبرع»، الذي كان يشتغل في جبانة طيبة في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد رقد ابنه «نخت آمون» المصور مريضًا حتى أشرف على الموت.[٢٤٧] فحوَّل «نبرع» وجهه شطر «آمون»، وأنشأ هذه الابتهالات له؛ لأن قوته عظيمة، وتضرع إليه بصلوات. وعلى أثر ذلك وجد أن رب الآلهة جاء كنسيم الشمال ومرَّ أمامه هواءً عليلًا؛ ونجا ابنه.

صلاة إلى «آمون»

سأنظم له أناشيد باسمة، وسأقدم له حمدًا يرتفع إلى عنان السماء، وينتشر في عرض الأرض، وسأعلن قوته للغادي والرائح على النيل.

كن أنت على حذر منه! وقل ذلك للابن وللبنت، وللعظيم والصغير. أعلن ذلك للأجيال التي كانت والتي لم توجد بعد.

---

[٢٤٤] هو أيضًا القاضي الأعلى.

[٢٤٥] نفس السطر يوجد فيما بعد.

[٢٤٦] انظر Sitz Ber. Berl. Ak. 1911. pp. 1088 ff. B. Gunn, Journ. of Egypt. Archaelogy. III pp. 83 ff.

[٢٤٧] إن الإله قد عذبه بالمرض؛ لأنه وضع يده على بقرة تخص «آمون».

أعلن ذلك للسمك في الماء، والطيور في السماء، حدِّث بذلك من لا يعرف، ومن يعرف كن أنت على حذر منه.

أنت يا «آمون» يا رب الصامت، ومن يُلبِّي صوت الفقير، وإذا ما ناديتك وأنا في بؤس خلَّصتَني، إنك تمنح التعس النَّفَس. إنك تنجيني أنا الذي في الأغلال.

أنت يا «آمون-رع» يا رب «طيبة»! إنك مخلص مَنْ في العالم السفلي (جهنم)؛ لأنك ... وإذا ناجاك إنسان أتيت من بعيد.

ومع أن العبد مستعد لارتكاب المعصية؛ فإن الرب متهيِّئ دائمًا لأن يكون رحيمًا؛ لأن رب «طيبة» لا يُمضي يومًا بأكمله غضبان؛ فغضبه ينتهي في لحظة، ولا يبقى شيء. والريح قد تحول إلينا رحمة بنا، و«آمون» يتحول مع (؟) ريحه.

وحياتك ستكون رحيمًا، وما قد أُقْصِيَ بعيدًا لن يعود ثانية! (يعني غضب الإله)، [وقد أضاف لكل هذا «نبرع» الكلمات الآتية]:

سأضع هذا التذكار باسمك، وأنشئ هذه الأنشودة عليه كتابةً إذا نجيت لي الكاتب «نخت آمون». هكذا قلت وقد أصغيت لي. والآن انظر! فإني أفعل ما قد قلت إنك أنت الرب لمن يناديه، مرتاح إلى الصدق يا رب «طيبة».

يجب أن يلاحظ هنا أن «نبرع» لم يكن المؤلف الحقيقي لهذا الشعر؛ لأن نفس الأفكار التي وردت فيه قد جاءت كثيرًا على لوحات تذكارية من هذا التاريخ في جبانة «طيبة» ...

وعلى هذه اللوحات التذكارية أمر القارئ أن يحذر الإله الذي يعاقب، وكذلك عبر عليها عن الأمل في الرحمة، وهناك كذلك الخطاب للعظيم والصغير، ولمن يعرف ومن لا يعرف، وللسمك في النهر والطيور في السماء ... إلخ.

والظاهر أنه كان يسكن حينئذٍ في الأماكن المقدسة، حيث كان عمال الجبانة يقيمون لوحات تذكارية، شخص ما كان يصنع هذه اللوحات للمرضى وللذين شفوا، ويكتب عليها أشعارًا موافقة لواقعة الحال. وهذا الرجل يظهر أن تعليمه كان ناقصًا، كما يدل على ذلك خطه غير المهذب، غير أنه كان ذا مَوْهِبةٍ شعرية.

وعلى أية حال نجد أن إله الشمس، أو «آمون» الذي يقوم مقامه، قد أصبح ملاذًا للمحزون، والذي يسمع الشكوى ويُجيب دعاء مَنْ يستغيث به، وهو الذي يحضر عند ذكر اسمه، وهو الإله المحبب الذي يسمع الصلوات، والذي يمد يده إلى الفقير، والذي يخلص المنهوك الذي أضناه المرض؛ ولا شك في أن هذا المظهر الجديد في التعبد والاتصال المباشر

بين العبد وربه هو الوحدانية بعينها، وقد ظهرت بأجلى معانيها في حِكم «أمنموبي»، وكذلك في تعاليم «آني»، ولكن لا جدال في أن تعاليم «إخناتون» السامية كان لها أثر فعَّال في تغلغل هذه الفكرة السامية في نفوس المصريين، رغم تمسكهم بآلهتهم الأخرى التي لم يكن التَّمسُّك بها في هذا العصر إلا مجردَ تقليد موروث.